قراءة في أدب النفس

شعر

أبي عمران الميرتلي الأندلسي

المتوفى سنة 604هـ/1207م

صنعة وتقديم

حياة قارة

دار الأمان

الرباط

قراءة في أدب النفس
شعر أبي عمران الميرتلي الأندلسي

الكـــتاب : قراءة في أدب النفس شعر أبي عمران الميرتلي الأندلسي
المتوفى سنة 604 هـ / 1207 م
المـــؤلــف : حياة قارة
النـــاشـــر : منشورات دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع
العـــنوان : 4، زنقة المامونية - الرباط
الـــــهاتف : 037723276 - الفاكس: 037200055
البريد الإلكتروني : E-mail: Darelamane@menara.ma

الطبـــعة الأولى : 1428 هـ - 2008 م
الإيداع القانوني : 0712/2008
ردمـــك : 978-9981-941-91-3

قراءة في أدب النفس

شعر

أبي عمران الميرتلي الأندلسي

المتوفى سنة 604هـ/1207م

صنعة وتقديم

حياة قارة

دار الأمان
الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتراف وتقدير

كانت صيغة هذا البحث، في البداية، بعنوان:

Abù'Imràn al-Mertolli al-Zahid: Andalusian Poet, Historical archetype and symbolic figure.

وأنجزت تقريرا حول هذا الموضوع، ضمنته الملف الذي قدمته إلى "اللجنة المغربية - الأمريكية للتبادل التربوي والثقافي"، وحصلت على منحة Fulbright سنة 2005-2006، ذهبت إثرها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استضافني مركز الملك فهد للدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة آركنسا، ممثلا في مديره الأستاذ Vincent J.Cornell الذي أقدم له جزيل الشكر والامتنان، إذ أسهم إسهاما كبيرا في دعم هذا المشروع، كما أثني بالشكر والعرفان على زوجته الأستاذة رقية العروي كورنيل.

وأتوجه بالشكر العميق كذلك إلى المسؤولين باللجنة المغربية - الأمريكية بالرباط، وعلى رأسهم الأستاذ Daoud S.Casewit، وكذلك أصحاب القرار الذين لا أعرف أسماءهم.

وأود ألا تفوتني الفرصة لشكر الأساتذة الباحثين بالولايات المتحدة الأمريكية الذين دعموا هذا البحث، أذكر من بينهم:

Sachiko Murata, William C. Chittick , Michael Sells.

فقد أهدوني جميعهم معظم أعمالهم في التصوف، مما ساعدني على الاطلاع على الأبحاث الأنجلوساكسونية المنجزة حول التصوف.

وأختم حديثي عن المساعدات التي مُنِحْتُها طوال إنجاز هذا المشروع، بالشكر العميق للأستاذ عبد العزيز الساوري، على ما قدمه من مساعدة قيمة فيما يتعلق ببعض الأعلاق الخطية التي دعمت هذا البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حين انتهيت من جمع شعر أبي عمران الميرتلي الذي اعتمدت فيه على مصادر مختلفة، معظمها مخطوط، استغرق سنوات طويلة، وجدتني بعدها أتأمل هذه المادة الأدبية، متسائلة حول نوع الرسالة التي يمكن أن يحملها شعر الزهد للإنسان المعاصر؟

وما هي دائرة التأثير التي يركز عليها هذا الشعر؟

وهل الشعر فعلا ملازم للزهد؟

أسئلة وغيرها، طرحتها على نفسي، محاولة أن أجد طريقا لتقريب شعر الزهد من المتلقي في وقتنا الحاضر، مع العلم أن الأفكار والقضايا التي يتضمنها إنسانية كونية لا ترتبط بزمان محدد ولا مكان معين.

وهذا ما يؤكده هذا المجموع الشعري، إذ نستخلص من قراءتنا له، أن الهدف الرئيس للشاعر هو التواصل على المستوى الروحي والوجداني، حيث يصبح الشعر هنا، من خلال الموسيقى والصورة واللغة، قوة يمكنها أن تخلق تغييرا في الضمير، بتوجيه الإنسان نحو معرفة حقيقة نفسه، وماذا تشتمل عليه هذه النفس.

من هذه الزاوية، يمكن أن نقول إن شعر أبي عمران يندرج ضمن آداب النفوس التي خصها المتصوفة المسلمون بكثير من العناية والاهتمام، باعتبارها منطقة يتقاطع فيها النفسي والاجتماعي والديني والروحي.

ولفهم تداخل هذه الأبعاد في شعر الميرتلي، عمدت إلى مناقشة بعض الموضوعات التي تشكل مفاتيح لقراءة شعره، حاولت في البداية إلقاء الضوء على سيرة الميرتلي من زوايا متعددة، أسهمت كلها في بلورة وتعميق شخصيته، وجعلتُ من إشبيلية الفضاء الروحي والجغرافي والسياسي الذي تتقاطع فيه تلك الزوايا؛ تفترق لتجتمع، تختلف لتتآلف وتتشاكل؛ فهي حين تجتمع وتتآلف تشكل بناء متكاملا ومتداخلاً لسيرة رمز من أهم الرموز في تاريخ الزهد بإشبيلية.

وحين تختلف وتفترق، تحيل على تعدد الروافد الفكرية، وتنوع المدارس الصوفية، وغنى الحقبة التاريخية التي أثرت في بلورة وتشكيل مدينة إشبيلية في العصر الوسيط.

ولا أسعى هنا إلى إعادة بناء تاريخ إشبيلية، بقدر ما أهدف إلى توسيع مجال الرؤية إلى بعض التداوليات الفكرية والروحية التي لم توضح بالشكل الكافي.

وقد يكون موضوع «أدب النفس» من بين هذه الموضوعات التي تشكل نوعا من رحابة الفكر في التراث الزهدي - الصوفي، بالنظر إلى المجالات التي يخترقها، والمفاهيم التي يوظفها، مما حفزني

للشروع في حفريات في تاريخ الزهد بإشبيلية، وتوضيح الأدبيات المتداولة التي أسهمت في توسيع رقعة الثقافة والفكر بها، بل وقد تسهم في تغيير نظرتنا إليها.

ولن أحتاج هنا إلى عزل التصوف عن الزهد، في تحديد طريقة الميرتلي الصوفية؛ لأن مرحلة الزهد مكملة لمرحلة التصوف عنده، أو بتعبير ابن العربي «يجب النظر بالعينين معا»، عين التصوف وعين الزهد: «التمييز» و«الكشف»، الكرامات والمنح الإلهية، والفضائل الأخلاقية والمعاملات الإنسانية. إنه أسلوب رفيع للزهد يتحقق بعد مرحلة الوجد والكشف، يسعى إلى خلق توازن بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب؛ بين الفرائض الظاهرة والفرائض الباطنة.

وبالله التوفيق

رباط الفتح 15 رمضان 1428هـ
الموافق 27 شتنبر 2007م

سيرة أبي عمران الميرتلي وأبعادها

التاريخية – الاجتماعية

1-1 – بين ميرتلة وإشبيلية:

شاعرنا هو موسى بن حسين بن موسى بن عمران بن أبي عمران القيسي الزاهد، يكنى أبا عمران،[1] أصله من ميرتلة[2] المعقل المشهور على وادي "آنة"، من عمل "باجة"، من الأندلس،[3] لا نعلم شيئا عن طفولة أبي عمران في مرتلة التي ولد بها سنة 522هـ، ولا تقدم لنا المصادر التي ترجمت به أو ذكرته، معلومات عن حياته الشخصية، قبل أن ينتقل إلى إشبيلية التي بقي فيها حتى وفاته سنة 604هـ.[4]

ويبدو من خلال هذا التاريخ، أنه عاصر الدولة الموحدية في أوج عظمتها وسيادتها ممثلة في خلفائها الثلاثة: عبد المؤمن بن علي، وابنه يوسف، ثم يعقوب المنصور، وجزء يسير من خلافة الناصر.

وعلى الرغم من شح المصادر التي كانت ستساعدنا في رسم صورة متكاملة عن هذا الشيخ الزاهد، ومعرفة طريقته الصوفية، فإننا استطعنا أن نقوم ببناء معرفة، تكاد تكون متكاملة عنه، وذلك من خلال اعتمادنا في المقام الأول، على النصوص التي خص بها علمان بارزان من أعلام التصوف بإشبيلية شيخنا أبا عمران، هذان العلمان هما: محيي الدين بن العربي وأبو بكر بن قسوم.

---

(1) التكملة 2/179- 181.

(2) ميرتلة Mertola، حصن من أعمال باجة، وهي أحمى حصون العرب، من الأبنية القديمة على نهر آنة. انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي: 1342/3، وانظر كذلك في التعريف بها: معجم البلدان 280/5، والروض المعطار: ص 521.

(3) الغصون اليانعة: ص 135.

(4) تذكر المصادر التي ترجمت به أنه دفن بمقبرة النخيل من إشبيلية، في روضة أبي محمد الشنتريني في يوم شات، وعلى ذلك غصت الشوارع بالناس، وضاقت الطرق عنهم تبركا بشهود جنازته رحمه الله تعالى التكملة 181/2.

يقدم لنا أبو بكر بن قسوم[1]، صاحب أبي عمران الملازم له، وتلميذه الأخص به معلومات عن شيخه تخص الحياة الشخصية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بأبي عمران، يقول: «كان يعيش في أول وصوله من ميرتلة إلى إشبيلية بدراهم كان ورثها عن أبيه، فلما فنيت لزم صناعة التعليم، وأقام على ذلك نحواً من سبع وعشرين سنة، واقتنى من العائد عليه أعلاقا وذخائر من الكتب، فلما أسن وضعف عن التعليم تركه، وصار يتقوت من أثمان تلك الكتب، يبيعها شيئا بعد شيء إلى أن فنيت، ويسر له شيئا تعيش به نحواً من تسعة أشهر، وقبض بعد ذلك رحمه الله. وكان صرورة ما تزوج قط، ولا تسرَّى، وإنما كانت رغبته وهمته في العلم والعبادة»[2].

يتبين من هذه الشهادة أن أبا عمران انتقل إلى إشبيلية وهو شاب يافع ناضج، أنهى تحصيل العلم بشريش، واستطاع أن يصل إلى مرتبة علمية تؤهله لمزاولة صناعة التعليم، ولاشك في أنه لم يقف عند هذا المستوى العلمي الذي حصله بشريش، وإنما انتقاله إلى إشبيلية كان بغرض تعميق ذخيرته العلمية عن طريق التفقه بفقهائها وعلمائها، وسلوك طريق صلحائها وزهادها، والاعتكاف على طلب العلم والعبادة؛ ساعده على ذلك يسر الحال؛ إذ كان ورث عن أبيه ما يقوم بأوده، ولم يكن في حاجة إلى امتهان مهنة أو صناعة تعوله؛ فالمصادر تخبرنا أنه كان يملك مسجدا[3] يقال له مسجد الرضا بإشبيلية [4]، يقيم به معظم الوقت[5]، ودويرة بإزائه، وفيها كان الملوك يزورونه، وأرباب الدنيا متبركين به وراغبين بدعائه[6].

---

(1) هو محمد بن عبد الله بن مهنى اللخمي، من أهل إشبيلية، كان أديبا بارعا، زاهدا ورعا متبتلا، توفي سنة 639هـ. الذيل والتكملة س 6/243-252.

(2) التكملة 180/2.

(3) ويقع بجوار الكنيسة داخل إشبيلية. الذيل والتكملة س1/ق1 ص 364.

(4) الفتوحات المكية 11/ 272، وشرح رسالة روح القدس ص 162.

(5) التكملة 465/2، وصلة الصلة 53/3، والذيل والتكملة س1 ق1/ ص363-364، وفيه خبر عن الزاهد ابن الصميل الذي خلف أبا عمران في مسجده بعد وفاته.

(6) التكملة 179/2.

وكانت هذه الدويرة تحتوي على بستان يخدمه بنفسه، إذ يخبرنا ابن سعيد أن أبا عمران كان «يعمل الخوص بيده في خلوته، ويبيعه ويتصدق منه، لأنه كان يرى كراهية البطالة عن شغل لمثله رحمة الله عليه»[1].

ويشهد له ابن الزبير بأنه: «كان مع مزية العلم والدين من أحسن الناس خلقا وأهذبهم طبعا، وأحصفهم نظرا، وأمتعهم حديثا»[2].

2-1 - الإشعاع الثقافي:

كان أبو عمران مثقفا ثقافة عالية تجمع بين علوم الشريعة: تفسير القرآن، وحفظه وروايته، وناسخه ومنسوخه، ورواية الحديث، والفقه وأصول الدين[3].

وعلوم الأدب التي تجمع بين التبحر في اللغة والنحو، والتعمق والتوسع في العروض، ونظم للشعر يؤكد علو كعبه فيه، وتشهد له لزومياته الزهدية بذلك، بالإضافة إلى التصنيف في النثر[4].

وقد لزم صناعة التعليم[5]، وأقام على ذلك نحواً من سبع وعشرين سنة[6]. وكان ملازما لمسجده بإشبيلية بالكنيسة يقرئ ويعلم[7].

---

(1) الغصون اليانعة ص137، والملاحظ هنا أن عددا كبيرا من زهاد إشبيلية كانوا يفضلون الاشتغال والمشاركة في الحياة الاقتصادية باعتماد الأعمال اليدوية خاصة: من زراعة وحياكة ونسخ...

(2) صلة الصلة: 52/3.

(3) التكملة 179/2- 180، والذخيرة السنية ص 41، وألف باء: 153/1.

(4) التكملة: 179/2- 180، وصلة الصلة ق 3/ ص 52، وتحفة القادم: ص 132، وأعلام مالقة: ص 363، وألف باء: 452/1، وتاريخ الإسلام رقم 217، وترجمة أبي عمران المرتلي وسواها من أخبار الأندلس ورقة5 أ – بـ (مخطوط خاص).

(5) التكملة: 179/2.

(6) تاريخ الإسلام رقم 217، وسير أعلام النبلاء ج242/21.

(7) تاريخ الإسلام رقم 217، وسير أعلام النبلاء ج242/21.

أخذ عنه جماعة، من بينهم الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الذي قدم له نسقا من السلوك، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا، كما أخذ عنه القاضي الأديب أبو الخطاب بن خليل، وروى عنه، ولازمه سنين كثيرة، وقرأ عليه، وسمع منه وأنشده من شعره[1]. أما تلميذه الأخص به الذي لازمه طويلا وانتفع بصحبته، وأخذ عنه طريقة التصوف، واقتدى به وعمل على سننه، فهو أبو بكر محمد بن قسوم بن مُهَنَّى اللخمي الإشبيلي[2]، له مصنفات في التصوف والمواعظ والزهد وأخبار الصالحين، منها «محاسن الأبرار في معاملة الجبار»، ويشتمل على أخبار الصالحين بإشبيلية، وقد دوَّن فيه جملة صالحة من كراماتهم ومآثرهم[3].

كما روى عن أبي عمران، أبو بكر عتيق بن رشيق[4]، وأبو بكر محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي[5]، وأبو القاسم محمد بن فرقد الإشبيلي[6].

والغالب أن المجالس التعليمية التي كان يعقدها أبو عمران، تتم في مسجده، إذ يتبين أن المنهجية التربوية التي اعتمدها في تحصيل العلم تهدف إلى نشر الثقافة السنية، وتتمثل في إقراء القرآن الكريم، وتفسير بعض الآيات القرآنية، ورواية الحديث، فضلا عن قراءة الشعر والنثر، قصد الوعظ والتذكير، إذ كان «قصر كلامه على الزهد، وصرفه بين التذكير والتحذير، لم يتجاوز به ما كان عليه، فجعله كله وصايا وحكما توقظ الغافل، وتعظ العاقل»[7].

---

(1) صلة الصلة ق53/3.

(2) الذيل والتكملة س243/6-244، وبرنامج شيوخ الرعيني، ص 92-93 ويذكر أنه اشتغل مدة بتعليم كتاب الله تعالى ونسخه.

(3) نفسه.

(4) الذيل والتكملة، س5 ق119/1.

(5) عنوان الدراية، ص246.

(6) الذيل والتكملة، س421/6.

(7) التكملة 179/2.

ولاشك أن هذه المجالس التعليمية لعبت دورا هاما في حياة العامة بإشبيلية، من تنوير ديني، وتهذيب النفوس، والإرشاد إلى مكارم الأخلاق، والتمثل بسلوكيات السلف الصالح، وقبل ذلك كله بسط طريقته القائمة على «معرفة النفس وتطهيرها وتزكيتها» حتى تكون مستعدة لفهم الدين الإسلامي فهما سليما، يسهم في بناء المجتمع الإسلامي، ولاسيما في مثل هذه الظروف الراهنة التي يعيشها المسلم في الأندلس في مواجهة مستمرة مع المسيحيين.

وإذا كان الميرتلي تتلمذ على يديه جلة من الفقهاء والمتصوفة الذين أخذوا عنه طريقة التصوف، وواصلوا مسيرته، وكان لهم تأثير قوي في إشبيلية وخارجها في القرون اللاحقة[1]، فإنه بدوره حصل العلم، وتفقه بجلة من علماء إشبيلية، وعلى رأسهم أبو عبد الله بن المجاهد (ت 574هـ)[2]، أخذ عنه أبو عمران وسلك طريقته بعده[3]، وهي امتداد لطريقة المحاسبي. كان واحد وقته زهدا في الدنيا، واجتهادا في العبادة، وتمكن الورع الصحيح[4]، وابن المجاهد معدود في الأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والبراهين الصالحة، والمكاشفات، وإجابة الدعوات[5].

وقد انخرط في طريقة ابن المجاهد عدد وفير من متصوفة إشبيلية، من أبرزهم أبو عمران الميرتلي، وأبو عبد الله ابن قسوم الفهمي الزاهد (ت 606هـ)[6].

(1) انظر فهرسة المنتوري ص223، حيث يؤكد فيها المنتوري تأثير الميرتلي على متصوفة القرن الثامن الهجري.

(2) يعرف بابن المجاهد، لأن أباه أحمد كان كثير الجهاد والغزو في السرايا والجيوش، روى الحديث عن أبي مروان الباجي، ولازم مجلس أبي بكر بن العربي، لكنه تخلف عن ذلك فيما بعد، وفيما يخص سبب تخلفه عن مجالس ابن العربي، أنظر التكملة 48/2، والذيل والتكملة س5 ق666/2.

(3) التكملة 49/2.

(4) الذيل والتكملة س 5 ق666/2.

(5) فيما يخص ولايته وكراماته، أنظر: الذيل والتكملة س5 ق 667/2، والنجم الثاقب، ص 338-339 (مخطوطة خاصة).

(6) انظر تفصيل ذلك في: التكملة 48/2-49، وتاريخ الإسلام ص 215 رقم 312 وشرح رسالة روح القدس، ص: 86، وبرنامج شيوخ الرعيني: ص 93-94، والتشوف إلى رجال التصوف: ص 380.

3-1 - طريقته الصوفية:

كان الميرتلي باتفاق أهل زمانه عالما بأصول الحقائق وفروعها، مع صحة المعاملة الظاهرة والباطنة، فوافق بين عرفانية التصوف وأخلاقية الزهد «لا يعدل به أحد من أهل عصره صلاحا وعبادة»[1].

ويمثل الميرتلي اتجاها صوفيا سنيا ينحو نحو العمل والتقشف والزهد والورع، ذكره ابن الزبير، فقال: «أحد أفذاذ الرجال، ممن جمع الله له العلم والعمل، زاهد ورع، عابد منقطع القرين»[2].

وقال عنه أبو الخطاب بن خليل: «استخلص بيته فرارا عن الخلق بدينه، وثقة في الانقطاع إلى الله سبحانه بعقد يقينه، ولزمه اسم "الفاضل" صفة أطلق الله له بها ألسنة الأنام، وسمة وسمه بها على مرور الأيام»[3].

أما البلوي فنجده يرصد ظاهرة الولاية عليه، ويذكر أحاديث متعلقة بها مما «يهول أمره ويطول ذكره»[4].

ومما يتعلق بصدق ولاية أبي عمران ما شاهده أبو الخطاب بن خليل وأهل بيته من «حاله من الله سبحانه في إجابة دعائه عجائب تشهد بصحة ولايته»[5].

فهو من الأولياء الذين تولاهم الله بنصرته في محاربة أعدائهم الأربعة، فيما يقول ابن العربي،[6] النفس والهوى والدنيا والشيطان.

وقد جمعها الميرتلي في أبيات شعرية وزاد عليها اثنتين فصارت ستا، فقال:[7].

---

(1) الوافي بالوفيات 787/26.

(2) صلة الصلة: 52/3.

(3) صلة الصلة: 52/3.

(4) ألف باء مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 895، ورقة 8 ظ.

(5) صلة الصلة 52/3-53.

(6) ناقش ابن العربي قضية "النصرة" في الولاية في مواضع متفرقة من الفتوحات المكية.

(7) القطعة رقم 73 من هذا المجموع.

[من البسيط]:

سِتٌّ بُليتُ بها والمستعاذُ به   من شرِّها مَنْ إليه الخلقُ تبتهلُ
نفسي وإبليسُ والدنيا التي فتنت   من قبلنا والهوى والحرصُ والأملُ
إنْ لم يكن منكَ يا مولاي واقيةٌ   من شرها فقدَ أعيت عبدكَ الحيلُ

وكراماته ومآثره كثيرة أثيرة، يشهد بها شيخه أبو عبد الله بن المجاهد، إذ كان إذا جرى ذكره بين أصحابه، يقول عنه: «لو رأيتموه رأيتم فردا من أفراد الزمان وبدلا من الأبدال، لا يقدر ولا يمثل إلا بالصدر الأول والسلف الصالح»(1).

ويكفي أن نذكر هنا أنه كان صاحب طريقة صوفية لها أثرها العميق في عصره، يمكن اعتمادها كمبدأ كوني للإنسانية جمعاء في كل زمان ومكان؛ لأنها قائمة على "معرفة النفس" وتطهيرها وتزكيتها كمرحلة أساسية في بناء الفرد، في علاقاته بنفسه، ثم علاقته بالله عز وجل، وأخيرا علاقته بالمجتمع.

ولعل خير من يحدد طريقة أبي عمران الصوفية، وما لازمها من طقوس خاصة، هو محيي الدين بن العربي، حيث تمثل النصوص التي خص بها الميرتلي عمدة في بناء معرفتنا بهذه الطريقة.

يقول: «كان رضي الله عنه أخذ نفسه بالشدائد، لزم بيته منذ ستين سنة لا يخرج، جرى على طريقة الحارث بن أسد المحاسبي(2)، لا يقبل من أحد شيئا، ولا يطلب حاجة لنفسه ولا لغيره»(3).

---

(1) الذيل والتكملة س5 ق667/2.

(2) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، شيخ من شيوخ الصوفية، وإمام زهاد المدرسة البغدادية في عصره، كان فقيها، أصوليا، متكلما، عالما بالتحليل النفسي، وخبيرا بالمجتمع الإسلامي، وتوفي سنة 243هـ. أنظر في التعريف بطريقته الصوفية: حلية الأولياء: 10/80-84، وكشف المحجوب: 320، 339، 404، 411، 550.

(3) شرح رسالة روح القدس: ص 87.

ويكشف عن الأسباب التي دعت أبا عمران إلى هذه العزلة، حيث يقول حكاية عن شيخه: «... ما ظهر لي في أهل هذه الطريقة من الفساد، وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال»[1].

الملاحظ هنا أن القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية، والأبعاد النفسية التي تشكل عمدة مذهب الميرتلي في الزهد، مستخلصة من تعاليم المحاسبي في التصوف، فهو شيخه الروحي وأستاذه ومرشده.

أخذ الطريقة عن شيخه أبي عبد الله بن المجاهد، كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ونظرا لما لطريقة المحاسبي من تأثير عميق، وحضور قوي، ودور كبير في تشكيل الاتجاه الصوفي بإشبيلية بشكل عام، ولدى الميرتلي بشكل خاص، فقد رأينا أن نعرف، في ابتسار أرجو ألا يكون مخلا، بالدعائم الروحية والأسس العقلية، والتعاليم الأخلاقية المؤسسة لطريقة المحاسبي في التصوف.

فنقول، إنها طريقة تهتم كثيرا بإصلاح الباطن[2]، حيث توجهت عناية المحاسبي إلى "أعمال القلوب" ، وألف لهذا الغرض كتاب "الرعاية لحقوق الله" لإرشاد المسلم نحو تطهير قلبه، وتحريره من كل ما يعوقه عن الله عز وجل، وقال: «إن أول ما يجب على العبد أن يبدأ به، هو رعاية حقوق الله عز وجل في قلبه، فإنه أول عامل منه، وعنه تكون أعمال الجوارح»[3].

إنه يربط هنا بين الحياة الدنيا (أعمال الجوارح المتمثلة في ظاهر الشريعة)، وبين الآخرة (أعمال القلوب؛ وهي العبادة الباطنة)، بحيث تشكل أعمال الآخرة حافزا أساسيا للالتزام بأخلاق الإسلام، فضلا عن أنها تمثل إحدى الدعائم الروحية العميقة المؤسسة لطريقة المحاسبي، ونجده يؤكد

---

(1) نفسه: ص 88.

(2) كان يقول: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة. انظر: النجم الثاقب 171/2 مخطوط (نسخة خاصة).

(3) الرعاية لحقوق الله: ص 83.

هذا المعنى في قوله: «فمن لم يكن تاركا للدنيا راغبا في الآخرة مؤثرا لمحبة الله عز وجل على هوى نفسه، باذلا نفسه وما يملك، ولا يضن به عنه ولا يبخل به عليه، لم يكن بالله سبحانه عالما ولا به عارفا، ولا بمذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم متمسكا، ولا بطريقه قائما، ولا كان من ورثته ولا من أمنائه، وكان من قطاع طريق الله عز وجل»[1].

إننا نقترب، من خلال هذا الكلام، من الروافد التي ترفد مذهب المحاسبي التي تتحدد فيما يلي:

أولا، الترغيب في الآخرة، وهذا متلازم مع العلم بأحكام الآخرة، أي العلم بالعبادة الباطنة؛ لأن العلم بأحكام الدنيا تكلم فيه العلماء وتناولوه على "التمتع" وليس على "التزود"[2]، والحياة الدنيا «دار يتزود منها إلى دار البقاء»[3]، ويحدد طريق التزود في «الورع والتقوى والزهد والصبر والرضا والقناعة والتوكل، والتفويض واليقين، وسلامة الصدر، وسخاوة النفس، ورؤية المنة، والنية، والاحتساب والإحسان، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، وحسن المعرفة، وحسن الطاعة، والصدق والإخلاص، فهذه أجزاء قامت بإزاء أجزاء الحلال»[4].

ثانيا، يمزج المحاسبي، كما هو ملاحظ من النص السابق بين التعاليم الصوفية والتعاليم الشرعية في اعتدال وتوازن، إذ إن الاعتدال هو السمة المميزة لمذهب المحاسبي[5] المؤسس على المحبة[6]، هذا الحب الإلهي الذي لا يتحقق إلا في رعاية حقوق الله عز وجل التي تترسخ "بالمحاسبة"[7]، و"اجتناب الرياء" في جميع أشكاله وتجلياته.

(1) كتاب العلم ص 93.
(2) كتاب العلم ص82-83.
(3) نفسه: ص 82.
(4) نفسه: ص 83.
(5) للاطلاع على هذا المذهب بشكل عميق، راجع الرعاية، ومصنفات المحاسبي الأخرى، حيث ستجد فيها توضيحا للأسس الأخلاقية والروحية المدعمة للدين الإسلامي.
(6) كشف المحجوب للهجويري: ص 550.
(7) ويمثلان فيما يرى د.أبو العلا عفيفي، أحد أركان مذهبه الصوفي، أنظر: الثورة الروحية: ص 212.

ولعلنا نجد ثمرة هذا الحب في الرضا[1] التي يجب أن يتفرد الإنسان لها لطلب رضا الله سبحانه وتعالى[2]. لذلك كان "الرضا" يمثل، عند المحاسبي، جملة من الأحوال، وليس جملة من المقامات، وهذه نادرة مذهبه، فيما يؤكد الهجويري[3].

ثالثا، يستنتج من خلال التفاعل الحاصل بين "أعمال القلوب" و"أعمال الجوارح"، بين ظاهر الشريعة وباطنها، اهتمام المحاسبي بالإصلاح الشرعي والإصلاح النفسي، بل إن هذا الأخير مقدم على الأول، لأنه يمثل مرحلة "التطهير" الذي يفسره بـ «الانتقال من الشر إلى الأساس الذي يبنى عليه الخير»[4].

بهذا المعنى، نجد المحاسبي يماثل بين «تطهير النفس» و«الطهارات المقدمة أمام العمل بالطاعات»[5].

فالتطهير أولا ثم العمل «والتطهير أولى بنا من العمل»[6] إذ «يتطهر الإنسان حينئذ ممّا يكره الله عز وجل»[7].

هذا هو فكر المحاسبي الذي سعى جاهدا إلى تقديم صورة سليمة وواضحة للإسلام المشرق المتنور الذي يرتكز على الإيمان بالله تعالى، إذ هو الجوهر الذي يحدد كل المظاهر الدينية والأعمال الروحية.

---

(1) كشف المحجوب: ص 408.
(2) نفسه: ص 550.
(3) انظر مناقشة الهجويري لمذهب المحاسبي في حقيقة "الرضا" في كشف المحجوب: ص 404-411.
(4) آداب النفوس: ص 62.
(5) نفسه: ص 62.
(6) آداب النفوس: ص 62.
(7) الرعاية: ص 81، وإذا تأملنا الشريعة الإسلامية، وجدنا مفهوم الطهارة يحمل معنى روحيا عميقا يتجاوز الظاهر الذي ندب إليه، فمثلا الوضوء مقدم أمام الصلاة، والإحرام بأعتباره تطهيراً للبدن والنفس مقدم أمام المناسك الأخرى المتعلقة بالحج، وكذلك الزكاة، وتحمل معنى الطهارة أيضا، مقدمة أمام أعمال البر والإحسان.

لذلك يعد المحاسبي من المؤسسين الأوائل لمذهب السلف القائم على السنة التي هي المنهج النافع والصائب للمسلمين «لأن الصواب كله في السنة»[1]، - فيما يقول - وحدودها «ليس بكثرة الصلاة تدرك، ولا بكثرة الصيام والصدقة، ولا بالعقل والفهم، ولا بغرائب الحكمة، ولا بالبلاغ والموعظة، ولكن بالإتباع والاستسلام لكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ والأئمة الراشدين»[2].

جعل من كتاب الله عز وجل، تلاوته وتأمله، وتدبر معانيه المرشد الأول للمسلم في فهم دينه وأمور دنياه وأخراه، ثم جعل من السنة النبوية الشريفة، وسيرة الأئمة الراشدين عاملا مساعدا ومرشدا، ونموذجا عاليا في الاقتداء والإتباع، فيما يتعلق بالمعاملات الأخلاقية، والدينية، والدنيوية، وما يتعلق بالحياة الروحية الباطنية المتصلة بالآخرة.

هذا الفهم العميق للإسلام هو ما دفع المسلمين إلى قبوله وتبنيه، وهو ما يفسر أيضا إقبال الأشاعرة عليه، إذ إن المحاسبي كان يتزعم فرقة كلامية تسمى الصفاتية،[3] وقد انحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالاتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية[4].

ولم تنقطع الصلة بهذا الفكر التنويري الذي سعى إلى تحرير فكر المسلم من القيود الزائفة، وكشف الأحجبة عنه التي تعوقه عن الوصول إلى الحقيقة، فنجده موصولا في خير خلف لخير سلف؛ عند أمة جمع الله لهم بين العلم والعمل ممثلة في صلحاء إشبيلية وزهادها من أمثال ابن المجاهد والميرتلي وابن قسوم وابن العربي وغيرهم.

---

(1) آداب النفوس: ص 63.

(2) نفسه: ص 65.

(3) وهم جماعة من السلف باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية. انظر تفصيل ذلك في: الملل والنحل للشهرستاني: 92/1.

(4) انظر توضيح ذلك في: الملل والنحل 92/1- 93.

بل امتد تأثير المحاسبي إلى صلحاء المغرب: مرورا بعبد العزيز التونسي،[1] وامتدادا مع ابن حرزهم[2] وأبي مدين شعيب[3] الذي كان يحضر مجالس أبي الحسن بن حرزهم، حيث سمع عنه رعاية المحاسبي، ثم في مرحلة لاحقة ابن عاشر السلاوي الذي تأثر كثيرا بطريقة المحاسبي السنية؛ حيث وظف نموذج «الولي الصالح» في النقد الاجتماعي – السياسي.[4]

2 - إشبيلية : عالم الأولياء

يستفاد من الحركة الصوفية التي عرفتها إشبيلية أنها تمثل المرحلة التأسيسية لما سيعرف لاحقا بمدرسة إشبيلية في الزهد، حيث نلاحظ حضور المدرسة البغدادية واضحا المتمثل في تعاليم المحاسبي بشكل خاص.

وإذا تتبعنا تاريخية الاتجاه الزهدي بإشبيلية، نجده يعود إلى وقت مبكر، إلى أواسط القرن الرابع الهجري، مع سيد أبيه المرادي الإشبيلي الزاهد (ت 325هـ)[5] الذي كان يعقد مجالس الوعظ والزهد بإشبيلية.[6] ثم الفقيه الزاهد أحمد بن عبد الرحمان العبسي الإشبيلي (ت 379هـ) الذي ألف كتابا في الزهد سماه الاستبصار[7].

---

(1) انظر التشوف: ص 92-93.

(2) كان شديد العناية برعاية المحاسبي، يدرسه لطلبته في الحلقات العلمية التي يعقدها في مسجد أبي جعفر بالقلعة بمدينة فاس: انظر تفصيل ذلك في المستفاد: 2/16-18.

(3) انظر التشوف: ص 322، وأنس الفقير: ص 11.

وقد خص د. Vincent J. Cornell أبا مدين في كتابه (The Way of Abù Madyan) بدراسة عميقة قدم بها آثاره الشعرية والنثرية، وفيما يخص تأثر أبي مدين بمنهج المحاسبي في الزهد، أنظر بشكل خاص (pp 28-29)، حيث يماثل المؤلف بين خروج أبي مدين إلى جبل قريب من مدينة فاس لقراءة القرآن والحديث، وخروج المحاسبي إلى الصحراء للتأمل الصوفي.

(4) من نماذج هذا الإصلاح الاجتماعي – السياسي، الرسالة التي بعث بها هذا الولي الصالح إلى السلطان أبي عنان المريني، حيث ضمنها مجموعة من النصائح، من بينها نصحه له بمطالعة كتابي: "الرعاية لحقوق الله" و"النصائح" للمحاسبي، معقبا ذلك بقوله: "فلعل ببركة الشيخ يلبسك الله خوفا فيكون سبب نجاتك": النجم الثاقب ص 129- 131، وتحفة الزائر: ص 60.

وانظر كذلك: Realm of the saint, pp 142-144 حيث توسع المؤلف V.Cornell في تحليل دور ابن عاشر باعتباره وليا صالحا، فيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي - السياسي.

(5) انظر: جذوة المقتبس 1/500 وفهرسة ابن خير 1/350.

(6) الصلة 1/5.

(7) الصلة: 1/5.

ومحمد بن عبد الله اللوشاني (ت 413هـ)، وكان منقطعا في الفضل والعبادة[1]، وعبد الرحمان الجذامي (ت 418هـ)، وهو من صلحاء إشبيلية [2]، والفقيه الزاهد أبو القاسم بن عصفور الحضرمي (ت 426هـ)، وله شعر كثير في الزهد والحكم والمواعظ[3].

وعبد الله بن مؤمن التجيبي الذي ألف أشعارا كثيرة في الزهد،[4] وقاسم بن إبراهيم المعروف بابن الصابوني (ت 446هـ) الذي كان من أهل القرآن والعلم والحديث، ألف تصانيف عديدة في الزهد، منها: كتاب "الخمول والتواضع"، وكتاب "اختيار الجليس والصاحب"، و"فضل العلم"، و"فضل الآذان"، و"فضائل عاشوراء"[5].

ومحمد بن خميس الصوفي الصالح الذي كان ملازما بإشبيلية كثيرا،[6] وكان صدرا في شيوخ الصوفية في وقته، صنف كتابا في الزهد سماه "المنتقى من كلام أهل التقى"[7].

إن حياة هؤلاء الزهاد المتعبدين، وغيرهم ممن حدثتنا عنهم كتب التراجم الأندلسية،[8] تمثل البداية الحقيقية التي تأسس عليها مذهب صوفي سني معتدل بإشبيلية، هذا الرعيل الأول الذي جمع بين شرف الفقه وعلم الشرع، ووجدانية الطريقة.

ثم استطاع الزهد أن يشق طريقه بقوة في إشبيلية في العصور اللاحقة، فظهر في عهد المرابطين أبو الحكم بن برجان (530هـ) وكان شديد التمسك

---

(1) الصلة 1097/1.
(2) الصلة، 697/1.
(3) الصلة 518/2 وجذوة المقتبس 236/1.
(4) التكملة 233/2.
(5) الصلة 1015/1.
(6) الغنية: ص 91.
(7) نفسه: ص 92، والذيل والتكملة 197/6.
(8) تحتجن كتب التراجم عددا كبيرا من صلحاء إشبيلية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

بالكتاب والسنة، مؤثرا لطريقة التصوف وعلم الباطن، ألف كتابا في تفسير القرآن الكريم «وجرى فيه على طريقة لم يسبق إليها، واستقرأ من آيات عجائب وكوائن من الغيوب»[1]، وكما ألف كتابه الشهير في تفسير أسماء الله الحسنى[2].

وسلام بن سلام الباهلي الإشبيلي الزاهد[3] (ت 544هـ) الذي يعد من أعظم صلحاء وزهاد هذا العصر، له تصانيف في الآداب والزهد والحكم، منها كتابه الموسوم بـ "ذخائر الأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق"[4]، ونظم شعرا في الزهد[5].

ولقد لقيت مصنفاته ومنظوماته الزهدية اهتماما وإقبالا على دراستها وروايتها بعد وفاته خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة[6].

أما في العصر الموحدي، فسنجد أن أبا عبد الله بن المجاهد سيرسخ لطريقة في الزهد، ستجد شيوعا وتأثيرا كبيرين في إشبيلية، توفق بين الفقه والزهد، وهي امتداد للاتجاه الزهدي الذي عرفته إشبيلية منذ أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إذ استطاع أن يستقطب زهاد إشبيلية في عصره[7]، وأن يؤثر في لاحقيه، وأولهم أبو عمران الميرتلي، ويوسف

---

(1) انظر صلة الصلة 32/4-34، ويشير إلى أنه كان أيضا مشاركا في علم الحساب والهندسة.

(2) نفسه، ويرى الأستاذ:
Dominique Urvoy, «Le Monde des Ulémas Andalous», pp 131.154 أن ملامح المدرسة الإشبيلية في الزهد ابتدأت مع ابن برجان.

(3) ترجمته في المقتضب من سمط الجمان لابن الإمام ص84، وفي الحاشية ثبت بالمصادر التي ترجمت به.

(4) الذيل والتكملة: 49/4، وهو من المصنفات المبكرة في إشبيلية التي عنيت بآداب النفوس، حيث يظهر تأثير المحاسبي واضحا، وهو مطبوع.

(5) جمعنا شعره من مصادر مخطوطة ومطبوعة، وأعددناه للنشر.

(6) انظر فهرسة المنتوري: ص 204.

(7) يشير ابن الأبار إلى مجموعة من زهاد إشبيلية انتهجوا نهج ابن المجاهد في الزهد، من بينهم محمد بن الزجاج وأبو الحكم بن حجاج، وأبو بكر بن لؤي الزاهد، كانوا نمطا واحدا في الصلاح والورع والإجتهاد والعلم، انظر: التكملة: 179/1، 48/2.

المعروف بالشبربري الزاهد[1] (ت587هـ)، وكذلك أبو عبد الله محمد بن مفرج الأنصاري الإشبيلي[2] (ت 601هـ) وهو من أصحاب أبي عمران الميرتلي الزاهد وتلاميذ ابن المجاهد الزاهد.

ونجد امتداد هذه الطريقة في القرن السابع الهجري[3]/الثالث عشر الميلادي، مع أبي عبد الله بن قسوم الفهمي الزاهد،[4] وعبد الله الشنتريني الزاهد[5] (ت 606هـ)، وأحمد بن منذر بن جهور الأزدي[6] (ت 618هـ).

والملاحظ من خلال تتبع الحياة الصوفية لصلحاء إشبيلية، أن التيار الذي ساد بها، هو التيار الزهدي المتشبع بمذهب الحارث بن أسد المحاسبي في الزهد، وبآراء الغزالي في التصوف.

ويستفاد من كتب التراجم والمناقب أن كتب المحاسبي كان لها شيوع واسع، وحضور قوي بين المتصوفة،[7] كما كان لها تأثير كبير وإشعاع قوي

(1) سلك طريقة ابن المجاهد في العبادة والزهادة، كما يؤكد ابن الأبار في التكملة: 215/4.

(2) التشوف: ص 380.

(3) يستفاد من شيوخ الصوفية الذين أخذ عنهم ابن أبي الربيع في إشبيلية، ودونهم في برنامجه التيار الزهدي السائد في القرن السابع للهجرة، انظر تفصيل ذلك في برنامج ابن أبي الربيع: ص 256-257، 262.

(4) شرح رسالة روح القدس: ص86-87.

(5) يؤكد ابن الأبار أنه سلك طريقة أبي عبد الله بن المجاهد في الزهد: التكملة 98/1.

(6) هذا العابد الزاهد صحب أبا عبد الله بن المجاهد نحوا من ثلاثين سنة، وأخذ عنه وسلك طريقته. التكملة 285/2.

(7) يشير القاضي عياض في "الغنية" إلى إجازة شيخه الفقيه الزاهد محمد بن خميس له كتاب الرعاية للمحاسبي، مؤكدا أنه كان كثير التكلم على كتب الحارث المحاسبي. أنظر: تفصيل حديث القاضي عن كتب المحاسبي، وتداول هذه الكتب في الأوساط العلمية: ص 92.
وينظر أيضا فهرس ابن عطية الغرناطي، وشفاء السائل لابن خلدون، إذ يتحدثان عن تداول كتاب الرعاية للمحاسبي في الأوساط العلمية، فضلا عن كونه عمدة في التصوف، فيما يؤكد ابن خلدون: ص 180-181، 209، 235.
وهذا دليل على امتداد تأثير المحاسبي في عصر ابن خلدون، بل نستطيع أن نقول إن ابن خلدون تأثر به كثيرا، ومن الممكن مقارنة ما جاء في مؤلفات المحاسبي: الزهد، والعلم، والرعاية بخاصة، بمضمون الشفاء لتتبين مساحة تبني الاتجاه السني في التصوف الذي أرسى قواعده المحاسبي، واقتدى به جم غفير من المتصوفة اللاحقين عليه.

في مجالس التعليم بإشبيلية، وغيرها من المدن الأندلسية[1] والمغربية[2].

وبالنظر إلى المعلومات المتوفرة المستقرأة من كتب التراجم والفهارس والمناقب، يتبين أن التيار الزهدي بإشبيلية عرف تغلغلا في الأوساط الاجتماعية والثقافية، لدى الفقهاء والعلماء، بل عرف أيضا تغلغلا داخل الأسرة الحاكمة[3].

ولاشك أن تعاظم موجة التصوف بإشبيلية، ووجود تيار زهدي قوي بها، له أهمية كبيرة وتأثير قوي، دفع بابن العربي ثم أبي بكر بن قسوم في مرحلة لاحقة، إلى تخصيص صلحاء إشبيلية بتآليف خاصة، بل خصصت لهم مقبرة تدعى "مقبرة الصلحاء"[4]، وتقع خارج باب مقرانة أو مقرينة[5] Macarena شمال إشبيلية.

---

(1) ينظر فهرسة ابن خير الإشبيلي (345-344/1)، حيث يتبين البعد التداولي لكتب المحاسبي في الوسط التعليمي، إذ يصور ابن خير مدى ذيوع هذه الكتب في المجالس التعليمية في القرن السادس الهجري، من بين هذه الكتب:

- كتاب الزهد.
- كتاب الرعاية لحقوق الله.
- كتاب الحبّ لله تعالى ومراتب أهله.
- كتاب الغيبة.
- كتاب التنبيه.
- كتاب التوهم والأهوال.

ويحدثنا محيي الدين بن العربي عن مدى استفادته من كتاب "المعرفة" للمحاسبي، ويشرح في رسالة روح القدس مبادئ ومحتويات الطريقة الصوفية التي انتهجها في قراءة مؤلفات المحاسبي، حيث كان الشيخ يقرأ إحدى رسائل المحاسبي، ويقوم ابن العربي بالشرح، أنظر تفصيل ذلك في شرح رسالة روح القدس: ص 108.

(2) ينظر أنس الفقير: ص9 حيث يشير المؤلف إلى تداول كتب المحاسبي في الأوساط العلمية بسلا، ويتبين منها تأثير طريقة المحاسبي الصوفية على متصوفة سلا، وأولهم ابن عاشر. وينظر أيضا تحفة الزائر: ص 41.

(3) يحكي عبد الواحد المراكشي أن وزيرا للخليفة يعقوب المنصور، وهو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص "وزر أياما يسيرة، ثم ترك الوزارة مختارا، وهرب إلى بعض نواحي إشبيلية، فخلع ثيابه ولبس عباءة وتزهد. المعجب: ص 263.

(4) فيما يخص المعلومات المتعلقة بهذه المقبرة، أنظر: الحلة السيراء 140/2، والمغرب 288/1، وانظر أيضا: "الحواضر الأندلسية" ص 416 حيث يؤكد المستعرب الإسباني ليوبولد طريس بالباس أننا «لا نعلم أن هناك مقبرة إسلامية أخرى غير مقبرة الصلحاء خارج باب مقرانة وتتكرر غير ما مرة في وثائق إشبيلية المسيحية الوسيطية، ذكر مقبرة كانت مجاورة لمرج القديسة Justa خارج الأسوار، وفي شمالها الشرقي، ما بين بابي قرمونة وقرطبة، والتي صادرها سنة 1502م، المجلس البلدي بأمر من الملكين الكاثوليكيين، ولا يعرف ما إذا كانت مقبرة المدجنين هذه قد استعملها من قبل سكان إشبيلية المسلمة. إن غياب الألواح الجنازية المكتوبة من هذه المقبرة أمر يدعو إلى الاستغراب.

وقد نشر ليفي بروفنصال منها لوحتين مستطيلتين فقط لشخصين وافاهما الأجل بالتتابع في عام 412هـ/1022م و 505هـ/1111م».

(5) يقع حي مقرينة Macarena شمال إشبيلية، وما زال قسم من السور القديم باقيا هناك حتى يومنا هذا.

يقدم ابن العربي نماذج جيدة في الزهد، ضمنها كتابه "رسالة روح القدس في محاسبة النفس"، حققها زهاد إشبيلية، يستشف منها انتفاعه بآدابهم وبصحبتهم وعلمهم، وملازمته لهم في مجالسهم الصوفية، معتكفا أحيانا كثيرة بمساجد إشبيلية مع بعض أوليائها، وفي مقدمتهم أبي عمران الميرتلي، وتفيدنا هذه التراجم كذلك، في كونه أتم تكوينه الصوفي تحت إشراف زهاد إشبيلية في مساجدها وأرباضها.

ولاشك أن الفضل في تكوينه الروحي، إنما يرجع إلى التعليم الروحي الذي تلقاه من شيوخه الإشبيليين بخاصة، فهؤلاء الذين ترجم بهم في رسالة روح القدس، هم الذين تتلمذ عليهم، وسلك بداية الطريق بإرشادهم، وهذا النموذج من التراجم، وظفه ابن العربي كطريقة لتأديب النفس ومناصحتها ومحاسبتها، حيث يظهر تأثير المحاسبي واضحا وجليا، من خلال عرض نماذج من المتصوفة ارتقت أنفسهم، وعلت هممهم، وصفت قلوبهم، يقول: «ومقصودي بهذه الرسالة إبراز معرفة نفسانية وربانية تحرض على الكلم الطيب والعمل، والله نفسي، وأنبهك، وأريد أبناء جنسي، وعني أكني، فلا تغتر النفس عن الذكرى، فإنها الذليلة، ولا تعمى عن حظها الإلهي بتصاممها عن هذه الفضيلة»[1].

وفي مرحلة لاحقة يؤلف أبو بكر بن قسوم اللخمي الإشبيلي الزاهد (ت 639هـ) كتاب "محاسن الأبرار في معاملة الجبار"[2]، ويشتمل على أخبار الصالحين الإشبيليين، وقد دوَّن فيه أبو بكر جملة صالحة من كراماتهم ومآثرهم.

ويؤكد هذا الكتاب امتداد التيار الزهدي حتى الربع الأول من القرن السابع الهجري، ولعل هزيمة العقاب (609هـ)، وما استتبع ذلك من زحف

---

(1) رسالة روح القدس: ص 134.
(2) كتابه مفقود الآن، وقد جمعنا بعض الأعلام المترجم بهم هناك، من مظان مختلفة مخطوطة ومطبوعة، وننوي بإذن الله تعالى نشره ضمن ديوانه الشعري الذي نقوم حاليا بجمعه من مصادر مختلفة.

المسيحيين المتزايد، ساعدت على إذكاء هذا التيار، خاصة إذا علمنا الدور الجهادي الذي قام به هؤلاء الزهاد في المعركة.

والملاحظ هنا أن معظم هؤلاء الزهاد الذين ذكرهم ابن العربي وابن قسوم في مؤلفيهما، يشتركون في الفئة التي كانوا يتوجهون إليها بسلوكهم الاجتماعي، وخطابهم الروحي، إنه جمهور المؤمنين العاديين، وليس النخبة الخاصة من المثقفين، إضافة إلى كونهم يتقاسمون طريقة الرياضة والمجاهدة التي شرعها رسول الله ﷺ، من أجل تدعيم تصوف سني ينهل من ينابيع الروح الإسلامية الصرف، بالاقتفاء والاقتداء بمنهج الصحابة والسلف.

وليس من نافلة القول إن التيار الزهدي السني بإشبيلية، استطاع أن ينصهر ويندمج مع الفقه المالكي[1]، فخلق طريقة زهدية، أصبحت تميز "المدرسة الإشبيلية" سعت إلى إقامة توازن وتناغم بين الفقه المالكي، وعمق الانتساب إلى طريقة المحاسبي في الزهد.

3 - إشبيلية : التصوف والسلطة

إن اهتمام الموحدين بمدينة إشبيلية: عسكريا وحضاريا، واكبته نهضة علمية شاملة، فأصبحت تستقطب طلاب العلم، فيما يتعلق بالدراسات اللغوية، بعد أن طبقت شهرتها الآفاق في علوم العربية وبخاصة النحو.

والملاحظ أن هذا الاستقطاب، لم يقتصر على اللغويين فقط، وإنما تجاوزه إلى ميادين معرفية أخرى، اجتمعت كلها لتحقق هذا الإشعاع الفكري والحضاري الذي تميزت به إشبيلية الموحدية.

---

(1) حول علاقة الفقه المالكي بالتصوف، وبخاصة اتجاه الغزالي في الإحياء، انظر د.محمد القبلي في: "الدولة والولاية": (ص38-40)، و"رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط " ضمن "مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط"، (ص27-33).

وحياة قارة في : "نظم الأقليشي في الدفاع عن فكر الغزالي" (مجلة التاريخ العربي، ع 27، ص 313-330).

وفيما يخص انصهار الفقه المالكي مع التيار الزهدي بإشبيلية، بشكل خاص، انظر:

Dominique Urvoy ; le monde des Ulémas Andalous du V/XI au VII / XIII^{ème} siècle, pp : 189- 190, 200.

لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن تشهد إشبيلية تجمعا كبيرا للأولياء والصالحين. ويستفاد من مجموع التراجم التي وقفت عليها من مصادر مختلفة، مخطوطة ومطبوعة، أن الأغلبية العظمى من رجال التصوف بإشبيلية عاصروا أوج الدولة الموحدية الممثلة في الخليفتين: يوسف بن عبد المؤمن، وابنه يعقوب المنصور الموحدي، وقليل منهم عاصر الخليفة محمد الناصر، والقلة القليلة عاصرت المرحلة الثالثة من سيادة الموحدين، أعني منذ أواسط العقد الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حتى سقوط إشبيلية في يد المسيحيين سنة 646هـ/1248م.

وقد استدعى هذا المد الصوفي الذي ازدهر بإشبيلية، خلال هذه الفترة، مراقبة صارمة من قبل السلطات الموحدية، أدت إلى مواجهات عنيفة فيما بعد، وتشير المصادر التاريخية إلى المتصوفة الذين تعرضوا لهذا القمع الرسمي[1].

وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه العلاقة المتسمة "بالتصعيد الجزائي" ضد صلحاء إشبيلية، إلى علاقة تتسم "بالجفوة" و"مباعدة السلطان"، خاصة إذا علمنا أن هذه الحركة الصوفية، استطاعت أن تقدم، في عهد الموحدين، إيديولوجية شعبية حقيقية سوف ترسم الملامح الجوهرية لإسلام الغرب الإسلامي[2].

ولاشك أن الشعبية الكبيرة التي يحظى بها بعض المتصوفة، كانت تمثل خطرا يهدد السلطة المركزية[3]، وهذا ما يفسر الوزن الاجتماعي، الديني

(1) تحتجن كتب التراجم أمثلة كثيرة لهذا القمع، نذكر منها حالة محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي (ت 596هـ) الذي "توفي بعد المحنة الجارية عليه من السلطان": التكملة 77/2.

(2) راجع تاريخ المغرب للأستاذ عبد الله العروي ص 192، حيث يرى المؤلف أنها ستكشف في ساعة الخطر عن قوة وصلابة غير مشكوك فيهما.

(3) راجع في هذا الشأن كتب المناقب والتراجم، إذ تحتجن مادة غزيرة حول هذا الموضوع، ولاشك أن حالة المتصوف إبراهيم بن سوار تؤكد ذلك، إذ "غرَّبه السلطان عن وطنه وتوفي بمراكش سنة ست عشرة وستمائة" لما تنامى إلى سمعه "اجتماع (أهل التصوف) إليه والازدحام عليه: التكملة 142/1.

المتصاعد للمتصوفة الذي أصبح يحسب له حسابه في ظل الدولة الموحدية، وبخاصة في عهد يعقوب المنصور[1].

ولأجل ذلك، حاول يعقوب المنصور أن يستفيد من تاريخ أسلافه فيما يخص كيفية التعامل مع المتصوفة، فحاول استقطابهم في الأندلس والمغرب، واستمالتهم واستثمار النفوذ الروحي الاجتماعي الذي كانوا يتمتعون به.

وتبعا لذلك، قد نفهم وندرك "المبادرات التبركية"[2] التي قام بها المنصور تجاه الصالحين، وما يهمنا نحن في هذا الإطار، هو علاقة هذه المبادرات بصلحاء إشبيلية، وما استتبع ذلك من علاقة كل من الدولة والصلحاء بالمجتمع.

إذ لاشك أن هذه المبادرات تعكس نفوذ هؤلاء الصالحين في المجتمع الإشبيلي في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وهذا ما تفسره وتوضحه علاقة أبي عمران الميرتلي وبعض زهاد إشبيلية بالسلطة الموحدية.

والواقع أن المصادر التي تحدثت عن علاقة الميرتلي برجال السياسة في عصره، اتفقت كلها على انقباضه وانزوائه عنهم، ومباعدته لهم، فابن الزبير يؤكد أنه «وصل إليه يوما أبو العباس القَنْجَاريّ، الرجل الصالح، من المنصور، وهو إذ ذاك بإشبيلية في إحدى غزواته، بجملة مال وضعه أمامه على حصير مسجده، ورام به في قبوله، أو قبول شيء [منه له] ولغير كل مرام، فما قدر عليه، ولا أصغى فيه إليه»[3].

أما ابن الأبار، فيحدد أن أبا عمران «اقتصر على الإقامة بالمسجد المنسوب إليه، وكانت له دويرة بإزائه يدخل منه إليها، وفيها الملوك يزورونه، وأرباب الدنيا متبركين به وراغبين بدعائه»[4].

---

(1) للتوسع أكثر في هذا الموضوع، انظر تفسير د. محمد الشريف لهذه الظاهرة في المستفاد: 1/61-63.

(2) انظر مناقشة د. محمد القبلي لاستراتيجية هذه المبادرات في مؤلفه (جذور وامتدادات): ص 76-78.

(3) صلة الصلة ق3/52-53.

(4) التكملة: 2/رقم 465، ونفس الحكاية نجدها تتردد في المغرب: 1/406 والغصون اليانعة: ص 136، بينما ذكر الحميري رواية دقيقة متعلقة بجواز المنصور إلى الجهاد عام الأرك، وقيامه بمبادرات تبركية قبل انصرافه إلى الغزوة، وقبل بنصيحة أبي عمران الميرتلي له فيما يخص هذه الغزوة بالذات: انظر تفاصيل هذه الحكاية في الروض المعطار: ص 521.

وفي نفس السياق، نذكر شيخ الميرتلي وإمامه في الطريقة أبا عبد الله بن المجاهد الإشبيلي الذي «كان مباعدا للملوك مع شدة رغبتهم فيه منافرا لهم، لا يقبل منهم قليلا ولا كثيرا»(1).

ويسوق لنا ابن صعد التلمساني حكاية تتضمن رغبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في التبرك بدعائه، بعد أن تنامى إلى سمعه كراماته ومكاشفاته «فزاره في داره وسأله الدعاء، وانصرف أبو يعقوب فرحا مسرورا بإقبال الشيخ ابن مجاهد عليه ودعائه له»(2).

والملاحظ أن أكابر متصوفة إشبيلية كانوا مباعدين للسلطان، فهذا عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي (ت 582هـ) دعي إلى خطتي القضاء والخطابة للموحدين فامتنع عن ذلك وأبى(3).

ولعل ابن قسوم اللخمي الإشبيلي الزاهد، كان نموذجا آخر من هذه النماذج التي أعرضت عن السلطان، ويشير ابن عبد الملك المراكشي إلى انصرافه عن الخدمة السلطانية، وتفضيله حياة الزهد، بعد إقبال الحياة عليه، يقول: «كتب في شبيبته عن بعض أمراء وقته، ونال معه دنيا واسعة وجاها عريضا، ثم ترك ذلك زهدا فيه وانقطاعا إلى الله تعالى وتعويلا على ما لديه»(4).

ويندرج موقف محيي الدين بن العربي في نفس السياق، إذ كان مجافيا

---

(1) النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب: ص 338. مخطوط (نسخة خاصة).

(2) نفسه: ص339، وهناك روايات مماثلة تؤكد رغبة الملوك في التبرك بدعائه، انظر الذيل والتكملة س5/ق667/2-668.

(3) انظر صلة الصلة 4/4، والتكملة 120/3، وقد كان من أهل العلم والعمل زاهدا فاضلا، اقتصر شعره على الزهد.

(4) الذيل والتكملة س243/6-244، حيث نجد ابن عبد الملك يشير إلى رغبة ابن قسوم في قطع الصلة بهذه المرحلة، يقول: وكان له ديوان جمع فيه ما صدر عنه من نظم ونثر أيام تنشّبه في الخدمة التي أنقذه الله منها، ولما نزع عنها مزقه وخرقه، ولم يخطر على باله شيئا منه، حتى لقي الله عز وجل، وله ديوان شعر زهدي مرتب على حروف المعجم.

لملوك الموحدين، وكان لا يقبل موائد السلطان[1]، ومما يؤكد ذلك، مبشرة له «تحرض على الرغبة في دعاء الصالحين رضي الله عنهم»[2]، ونصها:

«دخلت بإشبيلية على الشيخ الورع الصالح أبي عمران موسى بن عمران المارتلي، فأخبرته بأمر سُرَّ به واستبشر، فقال لي: بشَّرَكَ اللهُ بالجنة كما بشَّرتني، فلم تمض أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام ممن قد كان قد مات، فقلت له: كيف حالك؟ فذكر خيرا في كلام طويل، وقصة طويلة، ثم قال لي، وقد بشرني، بأنك صاحبي في الجنة، فقلت له: هذا في المنام، فهات الدليل على قولك، فقال: نعم، إذا كان في غد عند صلاة الظهر يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فأصبحت، وما ثَمَّ أمرٌ يوجب عندي شيئا من ذلك، فلما صليت الظهر، إذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا، فاختفيت خمسة عشر يوما حتى ارتفع ذلك الطلب. وهذا من بركة دعاء الصالحين».

بقي أن نتساءل في ختام هذا المحور، عن علاقة المتصوفة بالسلطة الموحدية، ويهمنا نحن في هذا السياق، مرحلة يعقوب المنصور في المقام الأول، هل هي فعلا علاقة تحكم في فاعليتها «اختلال التوازن الاجتماعي - السياسي»[3] الذي اختزلته جفوة الأولياء من السلطان؟

أم هي علاقة تحكم في صيرورتها هذا الوزن الاجتماعي - الديني المتصاعد الذي اكتسبه المتصوفة، بحيث أصبح يحسب له حسابه[4].

---

(1) انظر تفصيل الحكاية في شرح رسالة روح القدس: ص121-122، ولعل الجفوة التي كانت بينه وبين ملوك الموحدين، إضافة إلى تيار الزهد المعتدل الذي عرف بإشبيلية، كانا سببين في هجرته إلى المشرق حيث المجال هناك أفسح وأرحب لبناء اتجاه صوفي له أبعاد إنسانية كونية.

(2) المبشرات المنامية: المبشرة العاشرة، مخطوطة محفوظة بمكتبة المعهد الديني بسموحة الإسكندرية، وقد قمنا بتحقيقها ودراستها، وهي قيد الطبع.

(3) انظر جذور وامتدادات، حيث يناقش د. محمد القبلي هذه العلاقة من خلال الرهان المشترك بين الولاية والدولة: ص 75- 78.

(4) حول اكتساب المتصوفة لهذه القوة الاجتماعية، انظر: محمد القبلي (الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط: علائق وتفاعل): ص 66-67، ود.محمد الشريف في المستفاد: 1/62-63.

أم هي علاقة مركبة أفرزتها ظروف الجهاد بالأندلس، فتشابك فيها الديني بالسياسي والاجتماعي والنفسي؟

وكيفما كانت الإجابة، فنحن نعلم أن هؤلاء المتصوفة اكتسبوا شعبيتهم عن طريق الأعمال الاجتماعية من برّ وإحسان وتعليم، ومساعدة ومآزرة، بينما السلطة اختارت أسلوب «الإكراه والتشدد»،[1] ولغة الامتحان والتعذيب والتغريب، تجاه بعض النماذج التي يشك في أنشطتها وتوجهاتها[2].

وتبعا لذلك، كيف يمكن تفسير "المبادرات التبركية" التي كان يقوم بها المنصور الموحدي، بشكل خاص، هل تخفي فعلا النفوذ الصوفي القوي المتنامي في الأندلس، وإشبيلية بشكل خاص، ومن ثم محاولته استمالتهم واستقطابهم، وتوجيه الرأي العام نحو مظاهر بره وكرمه وعطفه ومحبته لهؤلاء الصالحين[3].

في الواقع إذا تصفحنا الشهادات التاريخية التي تناولت هذا الجانب من شخصية يعقوب المنصور، في بعده التاريخي - الاجتماعي، وجدنا أن معظمها يميل إلى وسمه بالعدل والإنصاف والصلاح، فابن عذاري، مثلا، لا يشكك في صحة ذلك، ويؤكد أنه «لا ريب ولا اختلاف أن المنصور رحمه الله كان رجلا صالحا عالما فاضلا»[4].

ويسانده عبد الواحد المراكشي في ذلك، إذ يؤكد أنه «انتشر في أيامه للصالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث صيت... ولم يزل يستدعي الصالحين

(1) انظر د. محمد القبلي في: الدولة والولاية ص 64.

(2) يمكن الرجوع إلى كتب التراجم والفهارس والمناقب للاطلاع على هذه النماذج التي امتحنت على يد السلطة الموحدية.

(3) انظر مناقشة د. محمد الشريف لهذا الاستقطاب في كتاب "المستفاد في مناقب العباد"، وبخاصة المحور المتعلق بـ: يعقوب المنصور: سياسة استقطاب المتصوفة ومحاولات ترسيم الممارسة الصوفية ص61- 76.

(4) البيان المغرب، قسم الموحدين. ص 170، 235.

من البلاد، ويكتب إليهم ويسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة»[1].

ويقول في حقه صاحب مرآة الزمان «كان هذا الملك من أعظم الملوك قدرا، ولم يكن في ولاة المغرب أحسن سيرة منه، وكان جوادا سخيا يعطي الألف الذهبية، ويكرم العلماء ويتفقد الضعفاء والأرامل والأيتام... »[2].

بينما نجد رأيا آخر لابن صعد التلمساني في «النجم الثاقب لما لأولياء الله من المناقب»، يقول: «ومن كرامات سيدي أبي مدين رحمه الله أن السلطان [يعقوب المنصور الموحدي] لما روَّعه وأهمل حقه خوفا من الدولة، وطمعا في الحياة، والبقاء في الملك، عاقبه الله بضد ذلك، فكانت وفاته بعد وفاة سيدي أبي مدين بسنة أو أقل ذلك، فضل الله يوتيه من يشاء.

وما زعمه المؤرخ الحافظ أبو عبد الله بن بطوطة[3]، والقاضي أبو العباس بن خلكان[4]، وغيرهما من أن هذا الملك يعقوب المنصور ترهَّب وانخلع من الملك، ولبس المرقعة، وقصد بلاد المشرق زاهدا متبتلا، وأنه توفي هناك، فلا تلتفت إليه ولا تعرج عليه»[5].

(1) المعجب: ص 278.

(2) النجم الثاقب: ص 453، نقلا عن كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان تصنيف سبط ابن الجوزي المتوفى سنة 654هـ، طبع منه السفر الأول فقط، ولم يرد فيه هذا النص، بتحقيق د.إحسان عباس، وصدر عن دار الشروق بيروت والقاهرة سنة 1405هـ-1985م.

(3) وهم ابن صعد في نسب هذه الحكاية إلى يعقوب المنصور، والواقع أن ابن بطوطة قصد بها أباه، أبا يعقوب يوسف الموحدي، يقول: "..وقصدنا منها (يقصد بلاد الشام) زيارة قبر أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب، وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز، وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر، ويقال إن ا لسلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف": الرحلة: 262/1.

(4) وفيات الأعيان 7/9-10، ومرآة الجنان لليافعي 365/3.

(5) النجم الثاقب: ص455.

أدب النفس وموقعه
في التراث الزهدي

الأخلاق، ومعرفة النفس، والدين، عوالم تتداخل وتتكامل لدى الميرتلي، لتخلق في النهاية تصورا عميقا للبعد الروحي الذي يمثله التصوف في الإسلام.

وسنحاول في هذا المبحث أن نخلل بتفصيل هذا التناغم والتداخل بين الأبعاد الثلاثة، مستعيرين شكل مثلث، يمثل الدين فيه لدى الميرتلي الرأس، وزاويتاه: الأخلاق ومعرفة النفس.

1 - الأخلاق والتربية النفسية:

إن الأخلاق الدينية لدى الميرتلي تعني تحقيق مقام التوازن والانسجام، في علاقة الإنسان مع نفسه، ومع العالم الخارجي، وللوصول إلى هذا المقام من التناغم والتوازن داخل النفس وخارجها، يقدم لنا الميرتلي مواعظ وأفكار نابعة من الحكمة التي تتضمن قيما أخلاقية، مثل: التقوى والتواضع والصبر، والتضحية، واحترام الذات..

ومما لاشك فيه، أن الميرتلي استمد من القرآن الكريم والسنة النبوية أسس أفكاره وآراءه حول الأخلاق الدينية، ولكن التوجيه الروحي، كان مستمدا من شيخه الروحي الحارث بن أسد المحاسبي الذي يعد بحق أستاذه وشيخه في الطريقة الصوفية القائمة على أخلاق الزهد والورع والتقوى[1].

فهو يدعو إلى الأخلاق التي تقرب العبد من الله تعالى، وتحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، اقتداء بالنبي ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم

(1) هذا البعد النفسي الذي وسع به المحاسبي مفهوم الأخلاق الدينية، تنبه إليه كثير من الباحثين، في الغرب والمشرق، ويشير .M.Sells, Early Islamic Mysticism, p 195 إلى أن المحاسبي قدم بسيكولوجية للأخلاق باعتبارها مظهرا لهيئة الإنسان الكوني.

الأخلاق» لأنه ﷺ صفا عن دنس الأخلاق، فالأخلاق الدينية منحصرة في متابعة سنن الشريعة المحمدية، وإحياء سنته ﷺ قولا وفعلا وحالا.(1)

فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول ﷺ، أوفرهم حظا من محبة الله تعالى، فهؤلاء المتصوفة الذين اتبعوا الرسول في أعمالهم، من جد واجتهاد وعبادة، رزقوا ببركة المتابعة في الأقوال والأفعال التخلق بأخلاقه: من الحياء والحلم، والتقوى والتواضع، والصفح والعفو والرأفة.. كما رزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والرضا والصبر والزهد والتوكل، ففي إحياء سنته ﷺ، إحياء للأخلاق الدينية التي يجب أن يتحلى بها المسلم الصالح.

وإلى هذا المعنى يشير الميرتلي في قوله: (2) [من البسيط]

وأُسْوتي بالأُلَى من خِيرةٍ سَلَفُوا ... وما تضمَّنتِ الآثــارُ والسُّننُ
هذي السبيل التي تُرجَى النجاةُ بِها ... وما سواها فَسُبلٌ كلها فِـتَنُ
لا يهتـدي لسبيل الرُّسـل سالكهـا ... حَتَّى يُـرَى عائداً في ضَرْعِه اللَّبَنُ

ثم إن الأخلاق عند الميرتلي، هي أخلاق العقل المدرك للوظائف الشرعية والسنن الملية، والمدقق لكتاب الله تعالى، يقول: (3) [من البسيط]

كِتَـابُ مَـوْلاَيَ أُنْسِـي حِينَ أقـرأه ... وَذِكْــرُه جُنَّـتي إنْ خَـانَـتِ الجُنَـنُ

ويقول: (4) [من المتقارب]

تَـعـبَّـدتَ بالشـرع فاحكـم بـه ... على العقـل إيَّـاكَ أن تَـفْـتَـتِـنْ

فبالعقل يفضل الإنسان ويتفوق على غيره من المخلوقات، وينجيه من التدحرج من فوق القمة إلى السفح، وإلى المحاق بعد الاكتمال، ويفتح أمامه الحياة الأبدية الخالدة. هذا العقل الذي يرشدنا إلى معرفة الحق سبحانه،

---

(1) إحياء علوم الدين 5/75- 76.
(2) القطعة رقم 101 من هذا المجموع.
(3) نفسه.
(4) القطعة رقم 95 من هذا المجموع.

ومعرفة طريقه، فبهذه المعرفة يكون الإنسان في يقظة ذاته ناجيا من الروح الحيوانية التي لا تعرف غير النوم.

تلك الروح الحيوانية التي تجعل الناس يملكون أحاسيس معكوسة، فيظنون النوم يقظة، واليقظة نوما[1].

والأخلاق عند الميرتلي لا تقف عند حدود الامتثال للأوامر، والانتهاء عن الزواجر، وإنما هي منهج في الحياة، يشمل العلاقات الخارجية الظاهرية، والعلاقات الداخلية الباطنية التي تربط الإنسان بالله عز وجل.

إنها أخلاق يجمعها أسلوب "المعاملات" التي أفرد لها المتصوفة تصانيف جمة، لذلك نجد الميرتلي يركز على الزهد بمعناه السلوكي الأخلاقي منتهجا الطريق نفسه الذي شرعه المحاسبي حين جعل للأخلاق وظيفة نفسية موكول إليها تدبير النفس وسياستها، حيث يستمد الميرتلي قطبية النفس في الأخلاق الدينية من الشريعة الإسلامية، ومن تراث المحاسبي، فجعل منها "الرفيق" في الطريق الصوفي.

وسنرجئ مناقشة هذا الموضوع إلى محور لاحق، نكون فيه قد ألممنا بمجموع رؤية الميرتلي للأخلاق الدينية التي يتفرع عنها اعتبار "النفس" مفتاحا لمعاني الحب والتوازن والانسجام، إذ إن للحب دورا هاما في التشكيل البسيكولوجي والميتافيزيقي في مجموع تراثه.

بهذا المعنى جعل منها مركزا للتطهير، لتتحقق سعادة الإنسان التي «لا تكتمل إلا بتكميل جوهره، من خلال تطهيره عن الأخلاق الرذيلة، وتقويمه عن الصفات الذميمة، والعادات السيئة القبيحة عقلا وشرعا، وتحليته بالعادات الحسنة، والأخلاق الحميدة، والملكات الفاضلة المرضية عقلا وشرعا»[2].

---

(1) وإلى هذا المعنى أشار علي بن أبي طالب: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»: كشف الخفاء: 280/2.

(2) ناقش المتصوفة والفلاسفة مفهوم التطهير من زوايا متعددة، وابن سينا هنا يربط بين الامتثال لمرضيات الشرع، وتطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس الناطقة المطمئنة: أنظر تفصيل ذلك في رسالة النفس ص 196-197.

يتبين إذن أن رياضة النفس، وتهذيب الأخلاق والتخلص من الرذائل، مفاهيم متعلقة بالزهد المطهر عند الميرتلي، فالتطهير أولا ثم العمل ثانيا، والتطهير أولى من العمل، فيما يقول المحاسبي[1].

في هذه الحدود، يتناول الميرتلي موضوع "الصلاة"، فهي عنده مرتبطة بالتطهير داخليا وخارجيا لأنها عماد الدين، ورأس القربات، وغرة الطاعات،[2] منبها إلى أعمال الصلاة الظاهرة، وأسرارها الباطنة، كاشفا عن دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع، حيث يمثل حضور القلب حالة روحانية عالية في الصلاة، لتفهم معاني القرآن، يقول:[3] [من المتقارب]

وهذي الصَّلاَةُ فأين الخُشُوعُ   وأين البكاءُ وسَكْبُ الدُّموعِ
وأين التباكي إذا لم يكن   بُكاءٌ بِوَجدٍ ودَمْعٍ هَمُوعِ
وأين التدبّر للذّكر يُتْلَى   بإحضارِ فهمٍ وسَمْعٍ سَميعِ

وحضور القلب[4] في الصلاة، معناه الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة إليها، لأنها صلة بين العبد وبين الله تعالى،[5] وإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم، بحقارة الدنيا، وهو ما يتكرر في شعر الميرتلي، حصل في مجموعها حضور القلب في الصلاة.

والصلاة محطة الصفاء[6]، وجوهرها الإيمان، ومن ثم اليقين، وحيثما

(1) آداب النفوس ص 61.

(2) خصص الغزالي لأسرار الصلاة ومهماتها فصلا هاما من كتابه الإحياء 173/1 وما بعدها.

(3) القطعة رقم (56) من هذا المجموع.

(4) هذا الاستغراق الروحي في الصلاة، أو حضور القلب بتعبير الغزالي، هو شكل من أشكال الموت، فقط في علاقته بأفقية حياتنا، وليس في ذاته نفسه فيما يرى F.Schuon. the transfiguration of Man. p 89.
وانظر كذلك فيما يخص هذا البعد الروحي - النفسي للصلاة:
- SEYYED Hossein Nasr, the Heart of Islam, pp 131-132.
- Michael A.SELLS, Early Islamic Mysticism, pp 12-13.

(5) كتاب فهم الصلاة للمحاسبي ص 357 (ضمن كتاب الوصايا).

(6) انظر إحياء علوم الدين 181/1-189، حيث ذكر الغزالي المعاني الروحية التي بها تتم الصلاة، وكذلك: The Transfiguration of Man, وبخاصة المحور المتعلق بـ: «Dimension of Prayer, pp : 97- 98.

كانت الصلاة كانت النعمة، وحيثما كان اليقين، كان السلام[1]، وإذا كنا مدركين لأبعاد الصلاة الروحية[2]، فإننا سنجد السلام داخلها.

بهذا المعنى، الصلاة هي في الوقت نفسه ٬نداء للرحمة، وفعل للإيمان والاعتقاد، وانتظام لأعمال البر[3].

ارتباطا بهذا العالم الروحي، نجد الميرتلي يصوغ تجربته الروحية الخاصة في نفس الاتجاه الذي يصوغ فيه معنى القصيدة، حيث تصبح لديها القدرة على خلق تأثيرات وجدانية روحية معينة، فاتحة بذلك فضاءات عاطفية وحدسية، وأخلاقية روحية.

ومن ثم فإن فعل قراءة شعر الميرتلي ليس هو نشاط ذات/موضوع، بحيث تنوب قصيدة عن أخرى، وإنما هو تكاثف قوة الكلمات، يضاف إليه صياغة القارئ الخيالية التي تستطيع أن تكتشف سعة هذا الفضاء الروحي، بحيث نلمس، في هذا المستوى، تعدد مستويات القراءة لاختلاف درجة الإحساس والشعور والتأثر.

وإذا تتبعنا الموضوعات التي تناولها الميرتلي في شعره، كيف نسجت ونظمت، ورصفت وتقاطعت مع نظرته الزهدية للعالم، فسنلاحظ أن الموضوعات الأخلاقية، والقيم الروحية، والأبعاد النفسية التي صاغها المحاسبي نثرا، فأودعها مؤلفاته العديدة، مثل : القناعة والرحمة، والصبر والعدل، والتقوى والزهد، وآداب المراقبة والمحاسبة، وتطهير النفس، وغيرها من الأخلاق المحمودة، وذم الرياء والغرور والجهل، وغيرها من الأخلاق المذمومة، يصوغها الميرتلي شعرا؛ فيجمع بين وجدانية الطريقة ووجدانية التعبير.

---

(1) The transfiguration of Man, p : 115.

(2) نفسه ص 97.

(3) أنظر المسائل في الزهد للمحاسبي ص 74، وكتاب فهم الصلاة ص 358.

من بين هذه الموضوعات، موضوع "القناعة" التي يرى في التخلق بها عز الحرية، وفي الحرص والبخل ذلّ العبودية، يقول: [1] [من الوافر]

قَنعتُ بِما تَيسَّر من زَماني وَأكذبتُ المَطَامِعَ والأَماني
ولم أغترَّ من زمنٍ خؤونٍ يُخادع بالمحال وبالأماني
فغشتني القناعة ثوب عزٍّ وصرتُ من المذلَّةِ في أَمَانِ

إنه يكشف عن ما في القناعة من عز الاستغناء: [2] [من المجتث]

سَلِيخَةٌ وَحَصِيرُ لِمِثْلِ بَيْتي كَثِيرُ
وَفيهِ شُكرٌ لِرَبِّي خُبزٌ وماءٌ نَمِيرُ

إن مفهوم الحرية والاستغناء عن الناس الذي يركز الميرتلي عليه هنا، مرتبط بسلوكه الشخصي، فقد كان قنوعا لا يقبل من أحد شيئا، فيما يقول ابن العربي، ولا يطلب حاجة لنفسه ولا لغيره.[3]

بل إن مفهوم الحرية، مفهوم رئيس في طريقة الميرتلي الصوفية التي يمثل فيها التوجه الروحي الطريق لاستكمال التحرير؛ تحرر النفس من الخارج لتبدأ الرحلة من الداخل.

ويلخص موضوع "ذم الدنيا" لدى الميرتلي، ولدى المحاسبي قبله، معنى التحرر من الدنيا، وعدم الخضوع لمتاعها، بل يمثل هذا التحرر جوهر الزهد عند كليهما.

ومعلوم أن القرآن الكريم ذم الدنيا في مواضع كثيرة، وصرف الخلق عنها، ودعا الناس إلى التفكير في الآخرة، لأن جميع الأخلاق المذمومة ترجع

---

(1) القطعة رقم (103) من هذا المجموع.
(2) القطعة رقم (34) من هذا المجموع.
(3) شرح رسالة روح القدس ص 87.

إلى كلمة واحدة، وهي حب الدنيا وشهواتها، ولذلك جعلها رسول الله ﷺ رأس كل خطيئة،[1] وقال ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[2].

يقول:[3] [من السريع]

أُفٍّ لدنيا قد شُغِفْنا بها جهلاً وعَقلٍ للهوى مُتَّبَعْ
فَتَّانَةٌ تَخْدَعُ طُلابها فلا تكن ممَّن بها يَنْخَدعْ

ويقول:[4] [من السريع]

اِرْغَبْ عَنِ الدُّنيا وَأَوْصَافِها مَشُوبَةً جَاءَتْكَ أَوْ صَافِيَهْ

ولاشك أن الميل إلى الدنيا من أشد الحجب المانعة من الخيرات الدينية والدنيوية[5].

ويحدد المحاسبي الأدوات التي بها يعالج المؤمن أمر دينه، وفي مقدماتها قطع حب الدنيا من قلبه، يقول: «فإذا فعل ذلك، هان عليه ترك الدنيا، وسهل عليه طلب الآخرة... ولا يقدر على قطعه إلا بأداته، أما إني لا أقول: أداته الفقر، وقلة الشيء، وكثرة الصيام، والصلاة والحج والجهاد، ولكن أصل أداته: الفكر، وقصر الأمل، ومراجعة التوبة والطهارة، وإخراج العزّ من القلب، ولزوم التواضع، وعمارة القلب بالتقوى، وإدامة الحزن، وكثرة الهم بما هو وارد عليه... وأن يجعل الموت نصب عينيه»[6].

ويبدو أن التحرر من أسر الدنيا، مرتبط لدى الميرتلي، بكل المعاني الأخلاقية والروحية التي تساعد المرء على تحقيق هذا التحرر، من بينها

(1) نتائج الأفكار القدسية 22/3.
(2) المسند للإمام أحمد بن حنبل 266/8 رقم 8272 (كتاب الزهد).
(3) القطعة رقم (48) من هذا المجموع.
(4) القطعة رقم (112) من هذا المجموع.
(5) نتائج الأفكار القدسية 114/1.
(6) آداب النفوس ص 136- 137.

الصبر الذي خصه بشعر وافر حث فيه على نبالة الأخلاق، وعلو الهمة، وفهم أسرار التوكل الذي به يتم هذا التحرر.

ونعلم أن الله تعالى وصف الصابرين، وذكر الصبر في نيِّف وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له.

يقول الميرتلي في هذا المعنى:[1] [من الطويل]

أَلاَ إنَّها الأقدارُ فَارْضَ بِحُكْمِها ... وَصَبراً على مكروهها وابتلائها

ويقول أيضا:[2] [من الكامل]

لاَ تجزعنَّ من الحوادث وَاصْطَبِرْ ... وَكِلِ الأُمُورَ لِمَنْ له تَدْبِيرُهَا
فَلَرُبَّ حَادثةٍ أتتْ بمسرَّةٍ ... ومسرَّةٌ في طَيِّها تَكْدِيرُهَا

يتبين من مضمون هذه الأبيات، أن الصبر يدرك من خلال تفاعله مع الاعتقاد الذي يضيف إليه عنصر الاعتدال، لأن الاعتقاد وحده يتطلب الصرامة ليكتمل، وهذا هو الصبر بالتحديد: الكمال مرتبط في اعتدال بين التقابلات المكمِّلة[3].

إلى جانب الصبر، نجد فضيلة "التوبة" التي تشكل موضوعا رئيسا في هذا المجموع الشعري، لأنها مرتبطة من جهة، بالانسياق وراء الشهوات وإغراء الدنيا، ومن جهة أخرى بالاهتمام بالتيقظ والحذر ومطالبة الخوف في عاقبة الدين حتى تسخو النفس بالتوبة[4].

---

(1) القطعة رقم (1) من هذا المجموع.
(2) القطعة رقم (26) من هذا المجموع.
(3) انظر: «The Transfiguration of Man », (pp : 57- 59) حيث يناقش المؤلف فضيلة الصبر مميزاً بين الفضائل والمواهب، بين ما هو "سماوي" وبين ما هو "أرضي"، بين ما هو عمودي جوهري، وما هو أفقي.
(4) انظر الرعاية لحقوق الله، حيث يربط المحاسبي بين معرفة النفس وتصحيح التوبة. ص 75 وما بعدها.

يقول الميرتلي: [1] [من مخلع البسيط]

شَكَوتُ دَائي إلى طبيبي فَقَال إنِّي بِهِ عليمُ
أَدَواءُ أدوَائِك المَعَاصِي فأنتَ من أجلها سَقِيمُ
وَبِالمَتَابِ الشِّفَاءُ منها إنِّي بِمَنْ تاب لي رَحِيمُ

الاستعارة هنا تلعب دور التماثل الذي يربط بين عالمين: روحي وجسدي، بين المعاصي والآثام، والأمراض والأسقام، حيث تمثل التوبة الدواء والبرء من الأسقام والآلام.

وتتنوع موضوعات شعر الميرتلي، بين الحض على مكارم الأخلاق، والنهي عن الأخلاق المذمومة، لذلك فهو حين يتناول موضوع "الجهل" فإنما يشير إلى اللؤم وسوء الأخلاق وفساد الذهن، وقلة الاحتمال، يقول: [2] [من الكامل]

تبّاً لذي جهلٍ دَعا لمبرة وأجبتهُ برا به فأذاعها
فَاقْلِ اللّئامَ مِنَ الرجالِ ولاَ تُجِبْ مَهما دَعوكَ وجَنِّبَنْ أَوْضَاعَها

ولاشك أن الجهل يفقد به الكمال الإنساني، وفقد الكمال الإنساني هو الحرمان[3].

وقد ذُمَّ الجهل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. والعلم والجهل، مثل النور والظلمة، كقوله تعالى ﴿**يُخرِجُهُم من الظُّلُمات إلى النور**﴾[4].

لذلك ارتبط حسن الخلق بقوة العلم، لأنه يسهل به إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين

(1) القطعة رقم (89) من هذا المجموع.
(2) القطعة رقم (49) من هذا المجموع.
(3) بد العارف ص 352.
(4) سورة البقرة آية 257.

الجميل والقبيح في الأفعال[1]، فالجهل نقيضه العلم، لذلك فإنه حين ينتقد الجهل ويجعله في الأخلاق المذمومة، فلأنه يُبَجِّلُ العلم، ويُعَظِّمُ المعرفة ويَحُضُّ على الانتفاع بهما، يقول:[2] [من الكامل]

من كان منتفعاً به وبعلمه يقظاً وفي عَمَلٍ حَليف نَعَّاسِ
فَمِثَالُهُ المسكينُ عند تأملٍ وتثبت كذُبالة النبراسِ
يأتي عليها الاحتراقُ وَدَأبها أبداً تَزايُدُ ضَوْئِهَا للناسِ

أما حين يتحدث الميرتلي عن "النفس"، فنلاحظ أن استعارة الموت والحياة لها، تثير مشاعرنا الروحية، وتخلق لدينا إحساسا خاصا يحمل معاني متناقضة ومتجاذبة: موت/حياة.

يقول في هذا المعنى:[3] [من البسيط]

أَمَتُّ نفسي كي أحيا فبيتي لي قبر وثوبي على جثماني الكَفَنُ
إلاَّ حياتي إلاَّ فِعَلٌ صالِحَهْ أموتُ عنها ويبقى ذكرها الحَسَنُ

فالمعنى هنا زهدي، والصورة الشعرية خلقت لدينا مشاعر حقيقية تتعلق بسمو الأخلاق ونبالتها، لأنها تمثل استجابتنا الداخلية العميقة للإيمان الذي نحس ونشعر به من خلال الكلمة.

وليس الموت هنا الدفن في التراب، بل هو موت الخصال الذميمة، والأفعال القبيحة، والأخلاق الدنيئة، والميلاد الثاني، ميلاد الخصال الحميدة والأخلاق السامية والأفعال النبيلة.

وكل هذه المعاني مرتبطة بقوله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[4].

---

(1) الإحياء 3/ 58.
(2) القطعة رقم (42) من هذا المجموع.
(3) القطعة رقم (101) من هذا المجموع.
(4) قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث غير ثابت، وقال القاري: هو من كلام الصوفية، والمعنى موتوا أخياراً بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطراراً بالموت الحقيقي: كشف الغطاء: 260/2 رقم 2668.

فالنفس تحييها للآخرة، وتميتها عن الدنيا، ولا تحيا بالله حتى تموت عن الأغيار[1].

ولقد توسع المتصوفة في مفهوم الموت والحياة للنفس، فبعضهم يربط بين حقيقة القرب وحياة النفس[2].

وبعضهم يرى في التوبة معنى من معاني موت النفس[3]، اعتمادا على ما جاء في القرآن الكريم ﴿**فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾[4].

وقريب من هذا، ما نجده في التراث القَبَّالِي العِبْرِي الذي يرى في الموت الطوعي قدرة على استقبال تدفق الحياة[5].

كما أن الكمال الإنساني من المعاني التي تحيل أيضا على هذا الموت الطوعي [6] الذي ترتقي إليه النفس.

بينما نجد في شعر جلال الدين الرومي ما يشير إلى أن الموت الطوعي، هو الميلاد داخل أكبر مملكة للوجود، ومن ثم فكل من صار ميتا، فيما يقول، صار له الرشد[7].

(1) عيوب النفس السلمي: ص 76، ولذا أشار أفلاطون حيث قال: مت بالإدارة تحيا بالطبيعة.
(2) نتائج الأفكار القدسية: 60/1.
(3) نفسه: 26/2.
(4) سورة البقرة: آية 54.
(5) أنظر: Daniel c.Matt, the essential Kabbalah, pp: 103-104، حيث يستعير المؤلف رمزية "غمد السيف" للنفس، للتعبير عن حالتي الميلاد والموت.
(6) أنظر: William c. chittick, sufism, pp : 85-86، المحور المتعلق بـ(ارتقاء النفس) حيث يقدم المؤلف في هذا السياق صورتين للكمال الإنساني: الأولى طبيعية، وهي موت الجسد، وبعدها لقاء الله عز وجل، والثانية تتحقق من خلال المبادرة الشخصية "لتربية النفس"، فالأولى يتساوى فيها الجميع، لكن الثانية، الناس فيها أحرار، في اختيار أي مصير للوجود يريدون خوض تجربته.
وراجع في هذا المعنى أيضا: - Chris Lowney, Avanished world, pp178-179.
(7) مثنوي 75/5، وانظر تفسير نجم الدين كبرى لجدلية الموت والحياة لدى رومي في مثنوي: 452/5-453.

2 - النفس والتعليم الصوفي :

تمثل معرفة النفس مركزا رئيساً في التعليم الصوفي بعامة، وطريقة الميرتلي بخاصة، إذ تمثل "البداية والسلوك" في رحلة النفس التي هي دليل مضيء لكل سالك، لمعرفة أعماق حقيقة طبيعته حتى «يكون في سلوكه رفيع الهمة عن ما سوى الله»(1).

ومعرفة النفس مرقاة إلى معرفة الله تعالى، كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم «من عرف نفسه عرف ربه»(2)، فقدم معرفة النفس على معرفة الرب(3).

ويوضح لنا ابن العربي طريقة شيخه أبي عمران الميرتلي التي تشكل فيها معرفة النفس مفتاحا لتحصيل الكمال بالمعرفة الموصلة إلى محبة الله تعالى والقرب منه، يقول: «ولقد اتفق لي في بدايتي، وما ثم إلا بداية، وأما النهاية فمقولة غير معقولة، أني دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي، وأنا في مثل هذه الحال، وقد تكدَّر عليَّ وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق، فقال لي الشيخ: "يا حبيبي عليك بالله"، فخرجت من عنده،

---

(1) انظر الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري : ص145.

(2) قال ابن تيمية عن هذا الحديث: إنه موضوع، وقال النووي قبله: ليس بثابت، وقال ابن الغرس: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره، وقال ابن عربي: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف، وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه: "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه".

وقال النجم، قلت: وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة سألت النبي ﷺ: من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس: ص234 رقم 2530.

واهتم الباحثون الغربيون المتخصصون في الفكر الإسلامي بهذا الحديث، فمثلا نجد W.Chittick و Sachiko Murata يوظفان هذا الحديث في سياقات مختلفة مستقرأة من التأويلات المتعددة، والقراءات المتنوعة التي وسع بها المتصوفة المسلمون زاوية النظر إلى "المعرفة" في بعدها الصوفي. انظر:

وبشكل خاص المحور المتعلق بـ :

- S.Murata. the Tao of Islam,
  «the three Realities »

وبخاصة المحور المتعلق بـ :

- w.chittick. the self-Disclosure of God,
  self and soul. (pp : 269-270).
- the sufi Path of Knowledge, pp 147-156.

(3) الفتوحات المكية: 189/3.

ودخلت على شيخنا أبي عمران الميرتلي، وأنا على تلك الحال، فقال لي: "عليك بنفسك"، فقلت له: "يا سيدنا قد حرت بينكما، هذا أبو العباس يقول: "عليك بالله"، وأنت تقول: "عليك بنفسك"، وأنتما إمامان دالان على الحق، فبكى أبو عمران، وقال لي: "يا حبيبي الذي دلك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع، وكل واحد مِنَّا دَلَّك على ما يقتضيه حاله. وأرجو - إن شاء الله - أن يلحقني الله بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس، فاسمع منه، فإنه أولى بي وبك". فما أحسن إنصاف القوم، فرجعت إلى أبي العباس، وذكرت له مقالة أبي عمران، فقال لي: أحسن الشيخ في قوله، هو دلك عل الطريق، وأنا دللتك على الرفيق، فاعمل بما قال لك، وبما قلته لك، فتجمع بين الرفيق والطريق»[1].

نلاحظ من كلام ابن العربي، أن الميرتلي يقدم معرفة النفس هنا بوصفها حجابا بين العبد وربه، ولا يتم زوال ذلك الحجاب إلا بمعرفة قدرها، ومعرفة ما خُلِقَتْ له.

وعلى هذا الأساس تمثل البداية في السلوك الصوفي؛ لأنها مفتاح لتحقيق التوازن والانسجام، ومقام من المقامات الصوفية الذي نكتشف من خلاله قيمة المعرفة التي يوفرها هذا الإبحار داخل النفس، لأن حقيقتها التي تتكون من المعرفة والتأمل، مستترة في ظل الحيوانية والحياة المادية.

وتأمل النفس ومعرفتها تتم من خلال الارتقاء بها عبر مقامات المراقبة والمحاسبة، وتطهيرها من تلوث الجسم وشهوانيته، حيث يعني التطهير هنا الوعي بالانسجام بين "الأنا" و "الذات".

ولعلي لا أجانب الصواب إذا قلت إن معرفة النفس تتماثل مع علم النفس، لأنهما معا يبحران نحو البحث عن المناطق المجهولة في النفس، من أجل معرفتها وتقويمها ورياضتها وتطويرها لرأب الصدع العميق داخلها.

---

(1) الفتوحات المكية 557/13-558.

فنجد المتصوفة يدرجون ذلك ضمن "آداب النفوس"، بينما يلحق علماء النفس هذا التشخيص بعلم النفس العلاجي.

هذا التركيز على معرفة النفس الذي يميز طريقة الميرتلي، نجد آثاره واضحة لدى تلميذه محيي الدين بن العربي، إذ نجده يحلل هذه المعرفة في معظم مؤلفاته، ويعتقد بوجود مناهج متنوعة لمعرفة الله، لكل منها مكانته الخاصة، فنلاحظ أنه يماثل، في سياقات متعددة، بين هذه المعرفة والصلاة، ففي إحدى فقرات كتاب الفتوحات المكية[1]، يقارن بين صلاتي الظهر والعشاء، وعالم الحس والعقل، ويرى أن السعي لمعرفة الله عبر عالم الحس شبيه بمناجاة الظهر التي تجري في النهار والعلن، ولكن معرفة الله من خلال عالم الغيب والتأمل العقلاني شبيهة بمناجاة الليل التي لا تتاح للجميع.

ولما كان موضوع "معرفة النفس" موضوعا رئيسا في طريقة الميرتلي، فإننا سنحاول مقاربته في أبعاده المختلفة، حتى نلم بموقعية النفس في التراث الصوفي.

2-1 - النفس بين التغيير والتطهير:

يتضمن حد النفس كما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة معنى سلبيا، فهي معدن كل سوء، والدعاية إلى كل بلية، أخبر عنها خالقها عز وجل بالسوء أمارة وللهوى المردي متبعة.[2]

والنفس بالطبع متمردة عن الطاعات،[3] مستعصية عن العبودية، ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها.[4]

---

(1) 6/95-96.

(2) الرعاية لحقوق الله ص 258.

(3) صورة التمرد والعصيان مرتبطة بالنفس - المرأة في الأدبيات الإسلامية، وقد استثمرت الباحثة الألمانية Anne Marie Chimmel هذه الصورة الرمزية ووظفتها في سياقات مختلفة، أثناء مناقشتها للتصوف الإسلامي.

انظر :

- Mystical Dimension of Islam, pp 428-429.
- My soul is a woman : the feminine in Islam, pp 57-58

(4) إحياء علوم الدين 4/420.

وتطلق النفس عند المتصوفة على الأخلاق والصفات المذمومة،(1) ووصف الصوفية مرارا الميول السلبية للنفس في حدود الصفات الحيوانية، ولا يتحقق العبد بالإنسانية إلا بعد أن يدبر دواعي الحيوانية فيه بالعلم والعدل، وهو رعاية طرفي الإفراط والتفريط(2).

والنفس وسيط بين الواحد والمتعدد، بين النور والظلام، إنها برزخ بتعبير ابن العربي بين الضراء والسراء، لا تنتمي على وجه الحصر إلى الجسد، وإلى النَّفَس الرحماني(3).

وتغيير النفس يمكن أن يوصف في حدود رحلة السمو والارتقاء من النقص إلى الكمال(4).

لذلك فإن نصوص الصوفية حين تصور النفس كشيء يجب تغييره، فإنهم نموذجيا، يصفون التطور من خلال ثلاثة مقامات،(5) ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، فوصفها بالأمارة، وقال تعالى: ﴿**إن النَّفْسَ لأمَّارة بالسوء**﴾(6) وهذه تمازج صاحب مقام الإسلام(7).

كما وصفها باللَّوَّامة، وقال تعالى: ﴿**لا أُقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنَّفس اللَّوامة**﴾(8)، وهذه تمازج صاحب مقام الإيمان(9).

---

(1) نفسه 291/5، وبد العارف ص 166.
(2) الإحياء 292/5.
(3) شرح رسالة روح القدس ص 137.
(4) تستعير S.Murata لهذه الرحلة صورة دائرة، مركزها الروح ومحيطها الجسد، واتجاه النفس نحو المحيط أو المركز هو الذي يحدد صفتها، أنظر: the tao of Islam, p 254.
(5) نجد في التراث العبري أيضا، عناصر ثلاثة للنفس، تتدرج من Nefesh وتمثل العنصر السفلي الحيواني، ثم ruah وتمثل العنصر الأخلاقي، ثم Neshamah وتمثل العنصر العقلي السامي.
(6) سورة يوسف آية 53.
(7) نتائج الأفكار القدسية 20/3، وراجع أيضا بد العارف لابن سبعين: ص 354-357، حيث توسع في تحليل وشرح مراتب النفس التي تتدرج من أدنى مقام إلى أعلى مقام: فهي هادمة لمقصودها، فيما يقول، بانية لمفقودها.
(8) القيامة آية 2.
(9) نتائج الأفكار القدسية 20/3.

وبالمطمئنة، في قوله تعالى: ﴿**يا أيتها النَّفْسُ المطمَئنَّة ارجعي إلى ربك رَاضِية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[1]، وهذه تمازج صاحب مقام الإحسان[2].

فإذا أجابت النفس منادى الهوى، كان التغيير[3]، قال تعالى: ﴿**فألهمها فُجُورَها وتقواها**﴾[4]، في إثر قوله تعالى: ﴿**ونفس وما سَوَّاها**﴾[5]، وإن أجابت منادى الروح، كان التطهير شرعا وتوحيدا[6].

فالنفس والروح يتطاردان بين التغيير والتطهير، فتارة يملك القلب دواعي الروح، وتارة يملكه دواعي النفس[7]، لذلك كان القلب مركز التجاذب بين النفس والروح، فصاحب القلب، فيما يرى المتصوفة، تحت حجاب نوراني بوجود قلبه، كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلماني بوجود نفسه[8].

وتشاكل علاقة النفس بالقلب، عند السهروردي، علاقة الأم بولدها، في حركة الانجذاب بينهما[9]. وحين تتناقض النفس مع الروح[10]، تمثل النفس الدنو والانحدار والظلام، ويميل الإنسان إلى الجهل.

---

(1) سورة الفجر آية 27.

(2) نتائج الأفكار القدسية 20/3.

(3) الفتوحات 196/2- 199.

(4) سورة الشمس آية 8.

(5) سورة الشمس آية 7.

(6) يوضح ابن العربي تطهير النفس شرعا وتوحيدا في الفتوحات (203/2-205) حيث يماثل بين أسرار النفس الإنسانية وأسرار الفاتحة في القرآن الكريم.

(7) عوارف المعارف (ضمن كتاب الإحياء) 292/5.

(8) نتائج الأفكار القدسية: 36/35/2. وانظر كذلك the tao of Islam, pp 74-76، حيث توظف المؤلفة هذا التجاذب بين الظلمة والنور من خلال تدرج حالات النفس، في سياق مناقشتها لمفهومي (الخوف والأنس) عند المتصوفة المسلمين.

(9) عوارف المعارف (ضمن كتاب الإحياء) 290/5-291، وانظر كذلك، على سبيل المثال: The tao of Islam, p 245 حيث توظف المؤلفة هذا التماثل الذي قدمه السهروردي، لتحليل العلاقة بين القلب والجسد، بين الروحي والمادي.

(10) يقدم جلال الدين الرومي صورة لهذا التناقض، من خلال المماثلة بين نبي الله موسى عليه السلام. وفرعون، فثنائيات هذه الجدلية الصوفية يرمز إليها بهذين العلمين؛ فالنفس داخل الإنسان مثل فرعون في هروبها من الهداية. انظر تفصيل ذلك في: مثنوي 4/ف3616-3624.

وهكذا نخلص إلى القول بأن النفس واحدة ولها صفات متغايرة،[1] فالأمارة تميل إلى الطبيعة البدنية، وتجذب القلب نحو الجهة السفلى، واللّوامة هي التي تنورت بنور القلب، وهذه وإن كانت محجوبة عن كثير الحقائق الربانية، يمكن أن تتزكى بالرياضة، وتلحق برتبة السعداء،[2] وهذا الصنف هم الذين وضعت لهم مراتب السلوك،[3] فهم أصحاب الرياضة، لأن الأصل طهارة النفس، وخلوصها، وما حصل فيها من الظلمة عارض، والعارض يمكن زواله ما لم يستحكم، لاسيما إذا بقي في النفس قبول الخير ولم يستحوذ الشر عليها، فهي كالمرآة الصدية يمكن جلاؤها، ما لم يرسخ في جوهرها حتى يفسده[4].

ويوظف جلال الدين الرومي في مثنويه،[5] الصورة الحيوانية، ليكشف عن الخاصيات والصفات التي تميز بين هذه المقامات، أو ببساطة للتعبير عن الإنسان في حال السمو والارتقاء، وفي حال الدنو والوضاعة.

بينما يماثل السهروردي[6] بين تدرج النفس عبر هذه المراتب، بتدرج تكوين الإنسان، وكذلك بين أصل النفس وصفاتها المتغايرة، وأصل الإنسان.

وهذا التدرج في مراتب النفس من الأمارة إلى اللّوامة، فإلى المطمئنة، هو ما عبر عنه الصوفية "بالجهاد الأكبر"[7]، فالجهاد هنا مبني على الرمز في

---

(1) معاتبة النفس للمحاسبي: ص 85- 86.

(2) انظر مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب لابن الدباغ: ص 9-10، حيث يناقش مراتب النفس من خلال التناسب والمناسبة بين تزكية النفس وطريق المحبة.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) انظر بشكل خاص: ج5/ف549- 552، 4/ف1533- 1543.

(6) عوارف المعارف (ضمن كتاب الإحياء): 5/291- 292.

(7) مركزية الجهاد في معرفة النفس، نبه إليها المحاسبي، مميزا بين "معرفة النفس" و"معرفة الرب"، يقول: «الناس رجلان: عارف بنفسه، فشغله في المجاهدة والرياضة، وعارف بربه، فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته»، ويذيل الهجويري كلام المحاسبي بقوله: «فالعبادة رياضة للعارفين بأنفسهم، ورياسة للعارفين بالحق. فهذا يعبد لينال درجة، وذاك يعبد وقد نال كل شيء، وشتان بين المنزلتين، عبد قائم بالمجاهدة، وآخر قائم بالمشاهدة» كشف المحجوب: ص 339.

هذه المعركة ضد الشيطان، لضمان أعلى المستويات التي ترقى إليها النفس، فاستعارة المعركة في الزهد، أو قتال النفس يلزمها فارس شجاع.

يتبين إذن أن ثمة تجاذبا بين المعرفة الصوفية، والأسماء المختلفة التي تحدد هذه المعرفة، وبين المراحل والأحوال والمقامات والمراتب التي تتحقق فيها النفس.

أما تطهير النفس، فهو تخليص القلب عن الكون اشتغالا بالمكون، وهو ما عبر عنه الغزالي "بكيمياء سعادة الخواص"[1].

وتطهير النفس معناه التزكية، ويكون بالمحاسبة، ومحاسبة النفس عملية تطهيرية، الغاية منها إسعاد الإنسان، وهذه السعادة مقيدة بطاعة الله عز وجل، لذلك اعتمد المتصوفة المحاسبة كطريقة ومنهج في الحياة، ورياضة روحية تتضمن الأبعاد النفسية والعلاجية، فتحدثوا عن فضائلها وفوائدها ودرجاتها وطقوسها وصفاتها، واصطلاحاتها، ومقاماتها وآدابها، وقد نبه ابن خلدون إلى ذلك، وقال: «...وصار علم الشريعة على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة، ومحاسبة النفس عليها..»[2]، حيث جعل من محاسبة النفس أصل كل الطرق الصوفية.

ومحاسبة النفس تعود إلى المحاسبي الذي لقب بهذا الاسم، لأنه جعل منها منهجا في الحياة[3]، وحدودها فيما يؤكد: «في النظر والتثبت بالتمييز لما كره الله عز وجل مما أحب.. والنظر بالتثبت قبل الزلل، ليبصر ما يضره مما ينفعه، فيترك ما يضره على علم، ويعمل بما ينفعه على علم»[4].

(1) كيمياء السعادة ص 19.

(2) المقدمة ص 468-469.

(3) انظر آداب النفوس، حيث جعل الساعة التي ليس فيها محاسبة "ساعة بطالة" ص 162-163.

(4) الرعاية لحقوق الله ص 48-50.

وتشغل محاسبة النفس مكانة عميقة وأساسية في متون التصوف، ابتداء مع المحاسبي كما أشرنا إلى ذلك آنفا، ثم مع أبي طالب مكي ثم الغزالي، وامتدادا في الأندلس مع ابن المجاهد والميرتلي وابن العربي وابن قسوم.

وما نجده عند هؤلاء المتصوفة الأندلسيين، وبخاصة الميرتلي، يساعد على استخلاص المحتوى النفسي، والخصائص النفسية المتعلقة بمحاسبة النفس، حيث نلمس مستويات هذه العلاقة، في الأبعاد الروحية - الأخلاقية التي ترتبط بالمحاسبة مثل الورع[1] والمحبة[2] وصدق المراقبة[3]، وهذه كلها لا تتحقق إلا عبر مطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات[4].

ويماثل المحاسبي بين محاسبة النفس، والمحاسبة في التجارة،[5] والجامع بينهما: ضمان سلامة الربح.

ويستمد الغزالي من المحاسبي هذه المماثلة، ويقول: «... فكما أن التاجر يستعين بشريكه، فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة، وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس[6]، لأن بذلك فلاحها، قال تعالى: ﴿**قد أفلح من زَكَّاها وقد خاب من دَسَّاها**﴾[7]. وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة، لذلك فإن تدقيق الحساب مع النفس، أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا، مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى»[8].

---

(1) آداب النفوس ص 168، وقوت القلوب 76/1.
(2) انظر الوصايا للمحاسبي: ص 305 وحلية الأولياء لأبي نعيم 82/10-83 ومكاشفة القلوب للغزالي: ص 358- 361، وكشف المحجوب: ص 550.
(3) آداب النفوس: ص 52- 56.
(4) انظر تفصيل ذلك في الرعاية: 48-54، والوصايا: ص229-231 وقوت القلوب: 266/2، والإحياء: 418/4.
(5) الرعاية: ص 80-81.
(6) يترجم william C.Chittick, sufism, (p : 41)، تزكية النفس "بالحراثة"، لجامع الكسب بينهما، حيث يتجلى هنا عمق البعد الإسلامي في هذه الترجمة.
(7) سورة الشمس آية 9.
(8) إحياء علوم الدين 418/4.

وللمحاسبة طقوس[1]، عبَّر عنها المتصوفة بأساليب متنوعة، وأشكال مختلفة، فالسهروردي يقول: «كان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس، ويدع بين كل صلاتين بياضا، وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطا، وكلما تكلم أو تحرك فيما لا يعنيه، نقط نقطة، ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه... لِتُضَيِّق المحاسبة مجاري الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء»[2].

ويحدد أبو طالب مكي مقامات المحاسبة في سبع، استنباطا من آي القرآن الكريم[3]، ويكشف عن صورة المحاسبة التي يميز فيها بين حركة القلب، وتصرف الجسم، أي بين الخاطر والاضطراب[4].

بينما يؤكد ابن العربي أن طريقة شيخيه ابن المجاهد وابن قسوم الإشبيليين، مقصورة على المحاسبة على الأفعال والأقوال، وأضاف إليهما المحاسبة على الخواطر، يقول: «وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به، وما يفعلونه، ويقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد صلاة العشاء دخلوا في بيوتهم، وحاسبوا أنفسهم، وأحضروا دفترهم، ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل، وقابلوا كل عمل بما يستحقه، إن استحق استغفارا استغفروا، وإن استحق توبة تابوا، وإن استحق شكرا شكروا، إلى

(1) في القَبَّالَة مثلا، يُنصَح أن تكون طقوس المحاسبة في الخلوة ليلا، مع لبس اللون الأبيض والجلوس في صمت. انظر تفصيل ذلك في « The essential Kabbalah »، حيث يناقش المؤلف D.C.Matt فكرة تجديد النفس من خلال هذه الطقوس (PP 103 -105).

وفي المسيحية، نجد أسين بلاسيوس، مثلا، يحدد هيئتها وفائدتها وفعاليتها في تصحيح الرذائل والنقائص الروحية مؤكدا أن الخصائص النفسية لهذه الرياضة لم تحلل بالوضوح والعمق اللذين تستحقهما، لأهميتها في الحياة الصوفية، وأثرها الأخلاقي والديني. أنظر تفصيل ذلك في كتابه: ابن عربي: حياته ومذهبه: ص 156 -158.

وأرى أن دراسة مقارنة بين الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية، فيما يتعلق بموضوع محاسبة النفس، يساعد لا محالة في تعميق النظرة إلى الأصول التوحيدية بين هذه الأديان السماوية.

(2) عوارف المعارف (ضمن كتاب الإحياء) 304/5.

(3) قوت القلوب 78/1.

(4) نفسه.

أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم، وبعد ذلك ينامون، فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر [1]، فَكُنَّا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا، وما تهمُّ به، زائدا على كلامنا وأفعالنا»[2].

ولاشك أن ابن العربي اهتم بهذه الرياضة الروحية، وأسهم في تكميلها، وبيان فائدتها الروحية.

ولما كانت محاسبة النفس الأصل في السلوك الصوفي، فإن أصحابها سُمُّوا "أهل النَّفَس"؛ لأنهم يحاسبون أنفسهم على أنفاسهم، فيم خرجت، وفيم عادت، كذلك كان عَدُّ الأنفاس أفضل العبادات، لكونها توجب الحرص على أنواع الطاعة، والخوف من الفوت والإضاعة، فالعبد في كل نَفَسٍ سالكاً طريقا إلى الحق سبحانه بنوع من السلوك، ولذا، يقال: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق[3]، فما من نَفَسٍ جديد إلا ولله فيه سرٌّ جديد وأمر أكيد، مثل شكر النعمة، أو التوبة من الذنب، أو الصبر على البلية، أو حمد الله على الطاعة.

3 - معراج الميرتلي: من التصوف إلى الزهد

ماذا نقصد بالمعراج هنا؟

إنه معراج مجازي، قصدت به ارتقاء أبي عمران وصعوده في سلم المقامات الروحية، والأحوال الصوفية، والسلوكات الأخلاقية.

ونحن إذا نظرنا إلى تصوف الميرتلي، سنجد أنه مر بمراحل، أخذت فيه ميوله الصوفية تقوى شيئا فشيئا مع مر الزمن، إلى أن وصلت إلى أعلى مدارج التصوف والزهد في الفترة المتأخرة من حياته، وهي فترة التأمل الديني والصوفي.

---

(1) استمد ابن العربي المحاسبة على الخواطر من المحاسبي الذي أفرد للمحاسبة على الخواطر بابا ضمن كتاب الرعاية لحقوق الله (ص84-90)، وجعل من رعاية حقوق الله عز وجل عند الخطرات أول منازل الرعاية انظر تفصيل ذلك في الرعاية ص 106-107.

(2) شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس ص86-ح1.

(3) نتائج الأفكار القدسية 95/2.

ويمثل الزهد أعلى مقام في المعراج الصوفي عند الميرتلي ؛ لأنه مرتبط بمحبة الله تعالى. وقد جاء في المأثور: إن أردت أن يحبك الله عز وجل فَازْهَدْ في الدنيا ؛ فجعل الله تعالى الزهد سبب محبة الله، فصار الزاهد حبيب الله تعالى، وصار الزهد من أفضل الأحوال ؛ لأن المحبة أعلى المقامات[1].

كما جعل تعالى اتباع رسول الله ﷺ، بتبني زهده ﷺ، الطريق الوحيدة لمحبته تعالى، يقول عز وجل : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[2].

بهذا المعنى نجد ترتيب الزهد لدى الميرتلي في أعلى المقامات، بعد التصوف بتجلياته المختلفة ؛ لأن معناه عنده وعند المحاسبي، يعني تحقيق نموذج النبي ﷺ، والعودة إلى الإسلام الأول الذي كان عليه الصحابة ؛ زهد نابع من ربط الحياة الدنيا بالآخرة ربطا وثيقا، باعتبار الآخرة حافزا أساسيا على الالتزام بأخلاق الإسلام، أما أن تنفصل الآخرة عن الدنيا، فهذا هو أصل الداء[3]، لذلك فهو لا يدعو إلى الانقطاع عن الحياة في الخلوات، وإنما يدعو إلى المشاركة في الحياة الاجتماعية والثقافية، موضحا السلوك الأخلاقي الذي ينبغي على المؤمن اتباعه.

إن الزهد هنا المتمثل للنموذج المحمدي، مرتبط لدى الميرتلي بالعلم وتبجيل أهله، وقد نسب الله تعالى الزهد إلى العلماء، ووصف أهله بالعلم، وهو غاية الثناء[4].

---

(1) إحياء علوم الدين 234/4، وفيما يخص علاقة الزهد بالمحبة، انظر بشكل خاص: المسائل في الزهد للمحاسبي ص 29، والوصايا له ص 305 وحلية الأولياء 82/10-83 ومكاشفة القلوب للغزالي : ص358 وكشف المحجوب 550-552، وقد صنف المحاسبي كتابا في "الحب لله تعالى ومراتب أهله" ويعد مفقودا في الوقت الحاضر.

(2) سورة آل عمران آية 31.

(3) ينظر المحاسبي إلى العلاقة بين الحياة الدنيا والآخرة من زوايا متعددة، من بينها زاوية التحليل النفسي، ولعل كتابه آداب النفوس من أوائل المصنفات في التصوف التي كشفت عن البعد النفسي في ربط الحياة الدنيا بالآخرة.

(4) قوت القلوب 242/2، وإحياء علوم الدين 233/4.

كما أنه مرتبط بالحكمة الناتجة عن الصمت والتأمل والعزلة،[1] وهذا ما عرف به الميرتلي، إذ أنها تعينه على عبادة الباطن وتقَوِّيه على الظاهر.

وقد قال رسول الله ﷺ «إذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يُلَقَّى الحكمة»[2]. وقد قال تعالى في تفضيل الحكمة: ﴿ومن يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾[3].

وإذا كان مقام الزهد في طريقة الميرتلي يمثل أعلى المقامات، فليس معناه أنه مقام ينطلق من الزهد إلى الزهد، وننفي عن الميرتلي رحلة "الكشف" و"الوجد" و"الفناء"، وإنما هو بالتحديد "الصحو" الذي ينجز بعد "السكر"، والبقاء بعد الفناء.

ومن ثم، يمكن أن نتصور الرحلة هنا، عبر المقامات والأحوال والسلوك، تستدعي لدينا فهم اتجاهين اثنين تتشكل منهما هذه الرحلة المعراجية.

الأولى، وتعني لدى الميرتلي تربية النفس، من خلال المجاهدة، وتصفيتها والانشغال بها من معرفة ومحاسبة ومراقبة.

ثم يشرع في رحلة أخرى، هي رحلة الصعود والترقي نحو معرفة الله جَلَّ جلاله، استنادا على ما ورد عن النبي ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه».

إنها رحلة يخترق فيها مستوى الظاهر إلى مستوى الباطن، وترتفع فيها الحجب، ليصل إلى المعرفة التي يجتمع فيها المتناقضان: الميلاد والموت، والفناء والبقاء.

---

(1) العزلة سبب لصمت الإنسان، وعزلة الميرتلي عزلة المحققين، وهي بالقلوب عن الأكوان، فليست قلوبهم محلا لشيء سوى العلم بالله تعالى: للتوسع أكثر في هذا المعنى، انظر: الإسفار عن رسالة الأنوار لعبد الكريم الجيلي، ص 81-83.

(2) سنن ابن ماجة 4 ص 162 (باب الزهد في الدنيا).

(3) سورة البقرة آية 269.

ولعل خير من سيعرفنا بأسرار هذه الرحلة، حيث تتبين طريقة الميرتلي في الزهد، تلميذه ابن العربي، فقد ذكره في مواطن شتى من مؤلفاته، وحدد التعاليم الصوفية التي تلقاها من شيخه الميرتلي.

فقد لقنه كيف يتلقى الإلهامات الإلهية، ونعته بـ «أحد رجال الإمداد الإلهي والكوني»، يقول: «ومنهم – رضي الله عنهم – ثلاثة أنفس، وهم رجال الإمداد الإلهي والكوني، في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون. فهم يستمدون من الحق، ويمدُّون الخلق، ولكن بلطف ولين ورحمة، لا بعنف ولا بشدة ولا قهر، يقبلون على الله بالاستفادة، ويقبلون على الخلق بالإفادة، فيهم رجال ونساء، قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس وقضائها عند الله، لا عند غيره، وهم ثلاثة، لقيت منهم واحدا بإشبيلية، وهو من أكبر من لقيتُه، يقال له: موسى بن عمران (الميرتلي) سيد وقته، كان أحد الثلاثة، لم يسأل أحدا حاجة من خلق الله»[1].

يستفاد من كلام ابن العربي أن مقام زهد الميرتلي يمثل أعلى المقامات؛ لأنه مرتبط بالعلم[2] والمعرفة بالله تعالى[3]، لذلك كانت عبارة: "الاستمداد من الحق وإمداد الخلق"، تشير إلى قربه من الله تعالى، وقربه من الناس، حيث يحمل أعباء شريعة النبي ﷺ، ليحقق اتصال الأرض بالسماء، واتصال التابعين بالمتبوع[4].

وإذا كان الوصول إلى الله عز وجل، هو نقطة النهاية في سلم العروج، ويتمثل في «الاستمداد من الحق سبحانه وتعالى»، فإنه لا يمثل نهاية الطريق، بل الوصول الكامل يتجسد في سلم مزدوج:[5] فعندما يصل الولي إلى

---

(1) الفتوحات المكية 11/ 322 ف 322.

(2) يعرِّف ابن العربي المد للإمداد الإلهي، بأنه العطاء من العلم الذي هو أشرف هبة يعطيها الحق من قصده: الفتوحات: 11/210- 211.

(3) أنظر المسائل في الزهد للمحاسبي: ص 69.

(4) انظر في هذا المعنى: Michael Chodkievicz, le sceau des saints, p : 214.

(5) فيما يخص هذا المعنى بالذات، أنظر: le sceau des saints, p : 215.

القمة، عليه أن يرجع درجة درجة، ولكن هنا، لا يرجع على نفس الدرج الذي صعد عليه، فالولي يصعد، وهو يرى بعين نفسه، ويرجع وهو يرى بعين ربه[1]، حيث تمثل "إفادة الخلق" الثمرة والنتيجة في منهاج درج المعارج[2].

ولعلنا نلاحظ هنا أن معراج الميرتلي يتجاذب، في سلم العرفان، بين الفناء والبقاء، بين الباطن والظاهر، الاستفادة من الحق سبحانه وتعالى وإفادة الخلق، حيث إنه في كل درج ينقص من باطنه، بقدر ما يزيد في ظاهره من علوم التجلي إلى أن ينتهي إلى آخر الدَّرج[3].

ويعبِّر ابن العربي عن هذا "الإمداد الإلهي والكوني"، في موطن آخر من الفتوحات، "بالتحليل" و "التركيب": [4] «فالإنسان يتحلل في معراجه إلى ربه، ولا يبقى منه إلا هذا السر الإلهي، وأثناء رجوعه تتركب صورته التي كانت تحللت في عروجه»[5].

بهذا المعنى، يكون الولي في حالة التصوف والوجد والكشف والفناء مع الله جل جلاله، وفي حالة الزهد مع الناس، حيث تظهر ولايته في خدمته للحقوق الإلهية؛ من اتصاف بمكارم الأخلاق، وأداء الفروض، وحفظ الجوارح، والصبر على الشهوات، والتوكل والورع والتقوى ... يعطي ليأخذ: يعطي صدق العبادة، فيمُنُّ الله عليه ويعطيه طريقا أعلى في

(1) نفسه، أنظر تفصيل ذلك في الفصل العاشر: la double échelle, pp 181-221

(2) الفتوحات 72/3.

(3) نفسه: 3/ف 39.

(4) نفسه 72/3 ف45، ويحلل Michael Chodkievicz, le sceau des saints. حالتي "التحليل" و"التركيب" عند ابن العربي بقوله: "وكما تحلل السالك من أثوابه كافة قبل عروجه، فترك ماءه وترابه وناره وهواءه، حتى بقي سراً إلهيا صرفا غير ممزوج، نراه عند رجوعه يلبس أثوابه واحدا واحدا، يتركب حتى يعود إلى العالم المركّب": pp : 215-216.

(5) الفتوحات المكية 110/3 ف66.

الولاية[1]، فتتوالى عليه أنوار العطاءات الربانية، حيث يخلصه الله لعبوديته، ويحرره من كل شيء، وينزله محل قربه.

هذا الولي الزاهد عبوديته المطلقة هي مساحة أعماقه التي تحررت من كل شيء، وامتلأت بالحضور الإلهي؛ أي السكينة التي هي صفات الولاية الصادقة.

إن مقام العبودية المطلقة الذي ارتقى إليه الشيخ، يشير إليه ابن العربي، واصفاً لنا علاقته بشيخه التي تؤكد على مظاهر الأدب والسلوك الذي يجب أن يلتزم به المريد في حضرة الشيخ. يقول: «كان يباسطني غاية البسط، فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وتعظيما، وكان يتعجب من حفظي الأدب معه في حين بسطه، فيرجع من المباسطة إلى باب العبودية، لا أباسطه لسر عجيب إن تأملته يا وَليّ، وقفتَ عليه إن شاء الله تعالى»[2].

العبودية هنا مرتبطة بالسر الإلهي الذي ميز به الله تعالى عباده الصالحين، فخصهم "بأسراره المخبوءة"، حسب عبارة ابن العربي؛ إذ هو من أقرب تلاميذه الذي استطاع أن يقدم لنا ما يساعدنا على نسج رؤية متكاملة عن الميرتلي.

يقول في سياق تخصيص شيخه بالكرامات الظاهرة، والولاية الصادقة: «فاحمدوا الله يا إخواننا، حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخبوءة في خلقه التي اختص الله بها من شاء من عباده، فكونوا لها قابلين، مؤمنين بها، ولا تحرموا التصديق بها، فتحرموا خيرها.

---

(1) فيما يخص مرتبة الزهد في درج التصوف، انظر مثلا: الوصايا للمحاسبي ص 306 والمسائل في الزهد: ص 32-33، والفتوحات 3/85-87 وكذلك:
بخاصة الفصل الثالث:
- W.Chittick, Sufism, pp 37-38.
- Michael Chodkievicz, le sceau des saints,
(la sphère de la walaya, pp 65-78).

(2) شرح رسالة روح القدس: ص 91.

قال أبو يزيد البسطامي، وهو أحد النواب، لأبي موسى الدبيلي: "يا أبا موسى، إذا رأيت من يؤمن بكلام هذه الطريقة، فقل له "يدعو لك"، فإنه مجاب الدعوة".

وسمعت شيخنا أبا عمران، موسى بن عمران الميرتلي، بمنزله بمسجد الرضا بإشبيلية، وهو يقول للخطيب أبي القاسم بن عفير، وقد أنكر أبو القاسم ما يذكر أهل الطريقة: يا أبا القاسم، لا تفعل، فإنك إن فعلت هذا جمعنا بين حرمانين: لا نرى ذلك من نفوسنا، ولا نؤمن به من غيرنا، وما ثم دليل يرده، ولا قادح يقدح فيه شرعا وعقلا، ثم استشهدني على ما ذكره. وكان أبو القاسم يعتقد فينا، فقررت عنده ما قاله بدليل يسلمه من مذهبه، فإنه كان محدثا، فشرح الله صدره للقبول، وشكرني الشيخ ودعا لي»[1].

يميز ابن العربي هنا بين فقه الظاهر وفقه الباطن، حيث يشير إلى علاقة الفقهاء بالمتصوفة، وإنكارهم لكرامات الأولياء، ووقوفهم عند شكليات العبادة.

لذلك فإنه حين يشير إلى كرامة الأولياء[2]، فلأنه يريد أن يخصص شيخه الميرتلي بالولاية، حيث جمع بين صحة الزهد وصحة التوكل[3]، ووصل إلى مقامات القرب بسبب ما أكرم به من علم خشية الله تعالى المصحوب بمعرفته الدال على تحقيق عبوديته له سبحانه وتعالى.

وأسرار هذا المقام، يؤكدها لنا ابن العربي، من خلال حديثه عن أسرار التوكل لدى شيخه الميرتلي، يقول: «فمن أسرار التوكل ترك التوكل، فإن ترك التوكل يُبقي الأغيار، والتوكل ينفي الأغيار.

---

(1) الفتوحات المكية 272/11-273، والنص كذلك في شرح رسالة روح القدس ص 162-163.

(2) اهتم ابن العربي كثيرا بمسألة الكرامات الصوفية وعلاقتها بالولاية، وقد خص العديد من مؤلفاته بشرح هذه المسألة في أبعادها الروحية والنفسية والأخلاقية.

(3) فيما يخص علاقة الولاية بالتوكل عند ابن العربي، أنظر: الفتوحات المكية (في مواضع متفرقة).

وعند أكثر القوم أن الأعلى ما ينفي، لا ما يُبْقي، وعندنا وعند شيخنا أبي السعود بن الشبل وأبي عبد الله الهواري، بتنس من بلاد المغرب، وأبي عبد الله الغزال، بألمرية ببلاد الأندلس، وأبي عمران موسى بن عمران الميرتلي بإشبيلية، وغيرهم: أن الأعلى ما يُفني ما ينبغي، ويُبقي ما ينبغي، في الحال التي تنبغي، والوقت الذي ينبغي. وبه كان يقول عبد القادر الجيلي ببغداد، فإن الله تعالى أفنى وأبقى، يقول تعالى: ﴿**ما عندك ينفذ**﴾ فلا تعتمد عليه، ﴿**وما عند الله باقٍ**﴾ فتعتمد على الله في بقائه، فأفنى وأبقى»[1].

إن "الفناء" و"البقاء" صفتان يُتفاضل فيهما، وحالان مرتبطان ومتلازمان، والتوكل هنا يفترض وجود سلم يندرج فيه السالكون، ويرتقون في الصعود والعروج من أدنى مقام إلى أعلى مقام، يتحقق فيه ترك الأسباب، والتوكل على الحق سبحانه وتعالى. وفي هذا إشارة إلى المقام الثالث من مقامات التوكل وهو أعلاها[2].

فالميرتلي في زهده وتوكله زاهد في الناس، وهذا أقوى الزهد باعتبار ما للنفس فيهم من الحظ[3]، ولا يؤتى إلا لأقوياء العارفين: زهدوا ثالثا بالله، كما رغبوا ثانياً بالله، كما زهدوا أوَّلاً بالله[4].

وفي هذا المعنى يقول ابن العربي:

الزهد ترك مُحَلَّل ومُحَلِّل ... ومُحلل فَازْهَدْ فَزهدك أزهدُ
والتركُ شيءٌ لا وجود لعينه ... وله لسانٌ في الشريعة يُحمدُ
في الزُّهدِ تعظيمُ الأمور وماله ... عند المُحقّق قيمةٌ لا تُجْحَدُ[5]

---

(1) الفتوحات المكية، 14/166-167 ف 99، ونلاحظ أن مصطلحي الفناء والبقاء يترددان كثيرا عند ابن العربي، لأنهما يقعان في مركزية طريقته الصوفية.
(2) إحياء علوم الدين 281/4.
(3) نتائج الأفكار القدسية 176/2.
(4) عوارف المعارف (ضمن كتاب الإحياء) 310/5.
(5) الفتوحات المكية 560/13

ويقدم لنا الغزالي صورة للزاهد المتوكل؛ يماثل فيها بين حال المتوكل يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته، وبين الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلاّ في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية، كما تحرك يد الغاسل الميت[1].

وتحرك هذه الصورة الرمزية مخيلة شاعرنا، فينظمها شعرا، ويقول: [من المتقارب].

كأنّي بي هكذا مَيِّتاً   تَحَكَّمُ فِيَّ يدُ الغَاسِلِ[2]

ولعلنا نستخلص من مفهوم التوكل عند هؤلاء المتصوفة والزهاد؛ معنى محبة الله تعالى، لأن أعلى درجات المحبة في التوكل.

والمحبة مذهب الميرتلي، كما أنها مذهب المحاسبي[3]، وطريقها المراقبة الذاتية أو التأمل الباطني.

ونعني بالمراقبة هنا: الحياء من الله عز وجل[4].

وإلى هذا المعنى أشار ابن العربي، حين ذكر شيخه أبا عمران في "أصناف الخائضين يوم الوقوف" يقول: «فمنهم الخائض في طلب من يشفع له، ومنهم الخائض في طلب من يكرم عليه لينقذه من هول ذلك اليوم، ومنهم الخائض في طلب من يشهد له، ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص، ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه، ومنهم الخائض حياء من معارفه، وعلى هذا كان يعمل شيخنا أبو عمران موسى بن

---

(1) إحياء علوم الدين 278/4 .

(2) المقطعة رقم 76 من هذا المجموع.

(3) كشف المحجوب ص 550.

(4) انظر آداب النفوس ص53، حيث حدد المحاسبي معنى مراقبة الله عز وجل في الحياء، قال: «وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك؛ فقال له: أوصني؛ فقال: "راقب الله"، فقال الرجل: وما مراقبة الله؟ فقال: " أن يستحيي من الله».

عمران الميرتلي، قلت له يوما: لم تقلل من معارفك؟ فقال: "ربما لا أكون هناك بذاك، فاستحيي من معارفي، فإذا لم أر من أعرف هان عليَّ بعض الحال"... وأمثال هذا هو خوض الوقوف إذا تأملت»[1].

فالحياء من الله عز وجل هو المراقبة لله، وهو من اشرف المقامات وأفضلها، فيكون قلب العبد لازما لهذا المقام في كل أعماله؛[2] لأنه متصل هنا "بآداب المراقبة"؛ مراقبة النفس ومراجعتها في كل خطرة تهواها أو تكرهها، وإلى هذا أشار المحاسبي حين تحدث عن حكم الحياء، قال: «والأكياس إذا دعتهم النفوس إلى أن تقطعهم بخدائعها عن سبل نجاتهم، حاكموها إلى الحياء من الله تعالى، فأذلها حكم الحياء»[3]. إنها مراقبة تربط سلوكه بعالم الآخرة، فلا تنفصل البداية عن النهاية.

لذلك، فهو حياء العبودية[4] الذي يصل بصاحبه إلى أعلى مراتب الدين، وهي مرتبة الإحسان[5]، وهو حياء الإجلال الذي منبعه معرفة الله عز وجل، وإدراك عظم حقه، ومشاهدة مننه وآلائه.

وهكذا نخلص إلى القول بأن درج الترقي في الطريق الصوفي عند الميرتلي، مرتبط بتربية النفس ومعرفتها، لكونها مفتاحا لمعنى الحب، وتحقيق التوازن والتناغم والانسجام.

(1) الفتوحات المكية 355/12-356 ق 290.
(2) آداب النفوس ص 52.
(3) نفسه ص 55.
(4) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية 623/2 .
(5) نفسه 764/2-765.

الزهد والشعر

1 - البعد الروحي والسحري:

الشعر ملازم للزهد[1] لأنه يهدف إلى استدعاء تجارب داخلية عميقة تتوج بالتجربة الروحية.

وإذا كان التعليم الزهدي - الصوفي يخاطب العالم الداخلي للإنسان، فإن الشعر يحاول أن يصوغ العناصر العاطفية - الوجدانية والأخلاقية، والروحية الداخلية للشخص، من خلال الكلمة، بحيث تغدو له وظيفة سحرية وروحية في الآن نفسه[2].

وبالرجوع إلى ما حددناه آنفا من ملامح التراث الزهدي، وموقعية النفس في هذا التراث عموما، وعند الميرتلي بشكل خاص، معينين الهدف من ذلك، في إيقاظ الفرد وجعله مدركا وواعيا بنفسه الداخلية، ومساعدته لإيجاد الطرق والوسائل السليمة لتطهيرها وتزكيتها، فإننا هنا نأتي لنضيف شيئا رئيسا، وهو أن الشعر يمس، عبر الصورة والاستعارة والإيقاع، المناطق العاطفية، والأخلاقية والروحية للنفس، إنه يحفزنا لنشعر ونحس بالمعاني أكثر من التفكير فيها.

فالاستعارة تولد لدينا مشاعر وأحاسيس لا يمكن أن يولدها الأسلوب المباشر؛ لأنها تستطيع، من خلال علاقاتها الاستبدالية، أن تنقلنا إلى عالم التأثر والانفعال فيصبح التأثر هو المعنى.

---

(1) يذهب بعض الباحثين في الغرب، وأذكر منهم على سبيل المثال william c.chittick ; sufism (pp 27-28) إلى تحديد فضاء التعبير الزهدي في النثر أكثر من الشعر، والواقع أن شعر "الزهديات" في التراث الإسلامي العربي بشكل خاص، مخطوطا ومطبوعا، يشكل مادة ضخمة تعزز من رحابة وسعة فضاء التعبير الزهدي، وسنحاول في هذا المحور رصد هذه العلاقة، من زاوية محددة، آملين وصلها بدراسات توسع أفقها.

(2) انظر: F. Schuon, the transfiguration of man pp 45-49 حيث يناقش المؤلف وظيفة الفن السحرية والروحية، من خلال موضوع "الفن: واجباته وحقوقه"، ملاحظا أن دراما الثقافة المعاصرة كامنة في غياب الأسس الروحية، بل إن هذه الثقافة تنتهي بتحطيم نفسها، وبالضبط تدين إلى التناقض بين الحقوق التي تعلنها والواجبات التي تجهلها.

ولاشك أن مفتاح الشعر الصوفي، يكمن في الاستعارة، لأنها تخلق معاني توجد وراء العالم المرئي، وراء حدود المنطق، وتبحر بنا نحو عوالم لا مرئية.

لذلك نجد الزهد بحكم مرجعيته التي تنمو داخل الرموز العقدية والمفاهيم الدينية، وبحكم رسالته الهادفة إلى توعية الفرد وتوجيهه نحو اكتساب نوع من التوازن والانسجام داخل نفسه، وداخل المجتمع الذي يعيش فيه، يبتعد بالاستعارة من منطقة العالم اللامرئي، حيث تمثل الاستعارة الاستكشافية[1] هنا وسيلة للتحويل والاستبدال، والتقنيع،[2] ليبحر في فضاء العالم المرئي، فيخلق جوا عاطفيا، أخلاقيا وروحيا، حيث تنمو المشاعر وتتهذب الأخلاق، وتتوسع المدارك ليصبح الشعر، من خلال الاستعارة "التوضيحية" وسيلة للتعليم والتهذيب واليقظة. فيخلق تغييرا داخل الإنسان، حيث يوقظه وينبهه ويوجهه لمعرفة نفسه وحقيقته، وما هو عليه بالفعل، ليسمو عبر هذا الصعود الزهدي نحو الارتقاء والسمو، والتطهير والتزكية.

2 - التفاعل بين الوزن المعنى :

لاشك أن الإيقاع الموسيقي والصورة الشعرية يؤثران في الإنسان، إنهما معا يغيران الإدراك الداخلي والخارجي للمستمع، وهذا ما يبحث عنه شعر الزهد.

وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن التراث الصوفي عموما، يؤكد ويشدد على الشعر، عبر الاستعارة والإيقاع الموسيقي، لأن درجة التأثير على المستمع في هذا المستوى، أقوى وأعمق وأوسع مما سيخلفه أسلوب النثر.

(1) فيما يخص تحديد هذا المفهوم، انظر: Claudine Normand, Métaphore et concept, pp 60-61.
(2) نفسه ص 43.

والملاحظ هنا، في عالم المشاعر والعواطف، أن الإيقاع الموسيقي مليء بالمعاني.

ولعل تفاعل الإيقاع مع المعنى، وحركة التجاذب والتكامل بينهما، هو ما استوقفنا أثناء قراءة هذا المجموع الشعري الذي يشهد للميرتلي بعلو كعبه في الإبداع الأدبي.

وسنحاول، في هذا المحور، أن نقدم بعض النماذج من تناغم الإيقاع الموسيقي بالمعنى الشعري.

من ذلك، أبيات شعرية، جمع فيها الميرتلي بين بحري: الطويل والكامل، وهو جمع انتقده العروضيون، لما فيه من الغرابة والخروج عن المألوف والمتداول في العروض العربي.

يقول أبوبكر القللوسي في معرض استشهاده بشعر الميرتلي، وتعيين وجه الغرابة فيه: «ومن أغرب ما مرَّ بي للمحدثين في **الطويل** مما استعمل عن قصد بيتان، أحدهما **كامل**، والآخر **طويل**، وثلاثة أبيات: الصدور منها **كامل**، والأعجاز **طويل**، وهي لأبي عمران الميرتلي الزاهد.

البيتان:

أُنظـر إلى هـذا الوجـود بأسـره   يَفْنَـى ويـذهـبُ كُلُّـهُ ويبـيـدُ
وفي ذلكم ذكـرى لـمن كان واعيـاً   بقلبٍ وألقى السَّمعَ وَهْـوَ شهيـدُ

والثلاثة:

صَنَمانِ مَعبودانِ قد فَتَنا الـوَرَى   ولستُ بِمُستثنٍ لُجَيْنٌ وعَسْجَدُ
بذلوهما المجهود منهم مَا وَنَوْا   فلم يبقَ إلاَّ أن يخرّوا ويَسْجُدُوا
لهما يُحَـجّ البيتُ قُـدِّسَ تُربُـهُ   ويَنْسُـكُ نُسَّـاكُ ويعمـرُ مَسْجِـدُ

هذا وإن كان من أوزانهم، فلا يُعدّ شعراً، لأنه مختلط الأوزان»[1].

نتساءل أولا عن سبب الغرابة هنا، هل هو راجع إلى مخالفة الميرتلي للمبادئ الصوتية والإيقاع الشعري؟ حيث إن التفاعيل تصوير وتحليل للنظام الإيقاعي في آن واحد.

أم أن الجمع بين الطويل والكامل هنا، ينفي أو يبعد مبدأ الاتفاق والتناسب الذي يقوم عليه نظام الخليل؟

أم أن في هذا الجمع سرّاً ترصَّده الميرتلي، وسعى إليه عن قصد، حسب إشارة القللوسي؟

ولمقاربة هذا النظام العروضي الذي قصده الميرتلي في تلك الأبيات، سنحاول أن نقدم قراءة، أو تأملاً في عدول الميرتلي عن القاعدة العروضية، لا ندعي فيها امتلاك المعرفة الشاملة والمحيطة بالعروض العربي، بقدر ما هي اجتهاد لفهم شعر الميرتلي في شموليته من جهة، ومن جهة أخرى، لاعتبار مسألة المناطق الإيقاعية المميزة لهذه الأبيات، أحد موضوعات التأمل الأكثر أهمية فيما نرى.

فيكون أول ما يلاحظ هنا، أن الانتقال لم يتم داخل الدائرة الواحدة[2]، حتى يكون الانتقال مبنياً على طبيعة العلاقة التكوينية بين وحداتها الوظيفية، وإنما بنى الميرتلي الانتقال خارج الدوائر العروضية،

---

(1) الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض، لأبي بكر القللوسي، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 15777، ورقة 21ظ – 22 و، وقد ناقش فيه ظاهرة تداخل البحور عند بعض فحول الشعراء، أمثال الطرماح والبحتري.
ونجده مثلا في تعقيب له على شعر للطرماح، متداخل البحور، يقول: "وهذا تخليط لم أره لغيره من الأعراب" 45 أ، وفي مكان آخر، يعقب على بيتٍ للبحتري، متداخل البحور، فيقول: "وهذا وأمثاله خطأ مطرح" 46 أ.

(2) من المعلوم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي وضع خمسة نماذج نظرية عليا سماها بالدوائر، وحصر فيها أنساقه الإيقاعية الخمسة عشر. انظر تفصيل ذلك في المؤلفات الخاصة بالعروض العربي.

فجمع بين دائرة المختلف (الطويل) ودائرة المؤتلف (الكامل)، وأقام الانتقال من الكامل إلى الطويل، لخلق علاقة تكوينية جديدة، تجمع بين السباعي في دائرة المؤتلف (الكامل)، والسباعي والخماسي في دائرة المختلف (الطويل)، بحيث لم تعد أطراف هذه العلاقة وحدات منعزلة، بل أصبحت وحدات داخلة في نسق معين، نلاحظ من خلاله علاقة تكوينية جديدة بين الوحدات الإيقاعية تجمع بين:

المتنافر: [1] (متفاعلن مفاعيلن).
والمتضادات: [2] الطويل والكامل.
والمتناسب التام التناسب: [3] (فعولن مفاعيلن).
والأصول والفروع: [4] الأوتاد والأسباب.
والثبات والاضطراب: [5] الوتد ثابت والسبب مضطرب.
واللدونة والسباطة: [6] كثرة المتحركات.
والبهاء والقوة والتناسب في الطويل، وتوسع مجال الشاعر في الكامل.
وبين النِّسب الموسيقية في الطويل، والأبعاد الإيقاعية في السباعي[7].

كل هذه المتعارضات ولدت تناغما وتفاعلا بين المضمون واللغة والدلالة؛ فاللغة هنا منسجمة مع المضمون ومع الإيقاع الموسيقي، فكما أن الإيقاع تم بناؤه، كما لاحظنا آنفا، على صورة متنوعة ومتداخلة من التضاد والتنافر والتناسب، فكذلك المضمون جاء بناؤه على التضاد: تضاد بين

---

(1) انظر منهاج البلغاء، حيث يحدد حازم القرطاجني قانون التنافر بـ "الذي لا يضارع ولا يضاد، ويمثل أدنى درجات التناسب في الشعر" ص 247.
(2) وهو ما نلاحظه بين الطويل والكامل، وفسره حازم بأن يخالف الجزء في وضعه وضع جزء آخر، حيث قُدِّم الوتد في الطويل، وأُخِّر السببان، وعُكِس الوضع في الثاني (الكامل). منهاج البلغاء ص 248.
(3) انظر منهاج البلغاء ص 259-260.
(4) شاع في مصادر العروض أن الأجزاء المبدوءة بوتد تعتبر أصلية، والمبدوءة بسبب تعتبر فرعية. انظر تفصيل ذلك في العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك لمحمد العلمي ص 86-87.
(5) نفسه.
(6) فيما يخص قانون التناسب في هذه الحدود التي ذكرناها، انظر منهاج البلغاء ص267-270.
(7) نفسه.

الأحرار في الدنيا وهم الزهاد/ وعبيدها اللاهثين خلف بريقها وحظوظها، تضاد بين السلطان الروحي الثابت/ والسلطان الدنيوي الزائل، تضاد بين الأغنياء بزهدهم/ والفقراء بثرائهم، تعارض بين النفس الصالحة المشرقة/ والنفس البدنية المظلمة.

ومن ثم كانت علاقة اللغة بالمضمون والإيقاع الموسيقي علاقة انبثاق، نعني بذلك أن مضمون الأبيات، وما ساد فيه من مفاهيم صوفية، أوجد لغة موازية لتلك المفاهيم ومتصلة بها، ومبنية بنفس البناء الذي بنيت عليه تلك المفاهيم، كما أوجد إيقاعاً موسيقيا ينتسب إليه على جهات من المماثلة والمناسبة، والمخالفة والمضادة، والمشابهة والمقاسمة. وساعدت المكونات الاستعارية للصورة الشعرية، من حيث إحالتها إلى عالمين متناقضين: العبودية والحرية، على تجسيم المجرَّد، أو لنقل تحسيسه، بحيث غدت الصورة التخييلية تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها، مؤكدة لمعانيها؛ لأن الأقاويل المقنعة فيها هي العمدة(1).

وهذا ما تفسره صور التقابل بين المعاني والمناظرة بينها، بحيث بنى الشاعر صدور أبياته على القوافي، ووضع المعنى في القافية التي التزم فيها بتكرار حروف بعينها "براعة منه واقتدارا"(2). ففي: **عسجدُ، يسجدُوا، مسجدُ**، جناس تكراري يحيل على سلطة الاشتقاق ودوره في البناء الاستعاري، ويبدو هذا واضحا في التجنيس الصوتي للقافية أو قافية الترجيع بالتعبير المعاصر(3).

إذ نلاحظ أن الكلمات الثلاث التي تمثل قوافي هذه الأبيات، تتماثل صرفيا: عسجدُ، يسجدُوا، مسجدُ، وتختلف في التركيبِ، فيكون حاصل الحروف التي التزم بتكرارها هي (**س ج د**) التي تؤدي معاني الخضوع

---

(1) انظر المنهاج لتوسيع الرؤية فيما يخص علاقة الأقاويل المخيلة بالأقاويل المقنعة ص 293-294.
(2) انظر الوافي في نظم القوافي للرندي ص 193.
(3) وهذا ما نبه إليه القدامى، وعينوا أسلوب "لزوم ما لا يلزم" نموذجا له.

والتذلل، وخفض الرأس على جهة التعظيم، والطأطأة والركوع، ومن ثم جاءت الكلمات: **عسجدُ، يسجدُوا، مسجدُ**، مندمجة كلها في **"سجد"**، مما خلق تجاوراً دلالياً، وتشابها مكونا لصورة معينة بين الوحدات المعجمية في القافية. إنها صورة تجنيسية لإحساس يشمل الموضوع كله.

كما ساعد تداخل البحور فيها إلى تشكيل ضروب تركيبات الأسباب والأوتاد، وضروب ما يتركب من الأجزاء المؤتلفة من تركيبات الأسباب والأوتاد.

من ناحية أخرى، لم يبعد على الميرتلي أن وجد في معاني البيت الوُاحد، ما يكون له علاقة بمعنى القافية **"سجد"**، وعلاقة بما تقدم من معنى البيت الذي قبله(1).

كما أن بناء الكلمات هنا، تم من خلال نموذج إيقاعي قوي، سواء من حيث المجانسات الصوتية في ترديد حروف **(س ج د)** في كل قافية، أو من حيث الإيقاع المتعاقب.

ومن النماذج الشعرية الأخرى التي نلاحظ فيها هذا التفاعل بين الوزن والمعنى في شعر الميرتلي، قوله: [من المتقارب]

سَلِّم لِمولاكَ فيما أراد وَعَدِّ بنفسكَ عَمَّا تُرِيدُ

وقوله: [من المتقارب]

هَنيئا لِحِمْصَ لقد أنجبته وَليداً وشاباً وحين اكتهلْ

نلاحظ أن حرصه على تحقيق هذا التفاعل، دفعه إلى اعتماد الرَّخَص الشعري، بل إلى أبعد من ذلك، إلى المزج بين البحور في علاقة فعَّالة، كما لاحظنا سابقا.

---

(1) فيما يتعلق بطرق معرفة تأصيل القوافي، وبناء ما قبلها عليها، وبنائها على ما قبلها، انظر: منهاج البلغاء، ص 278-282.

ولاشك أن الميرتلي كان واعيا ومدركا لوجود مناطق إيقاعية أوسع وأرحب مما حصره الخليل واللاحقون عليه ؛ لأن الوزن عنده ليس خطاطة نظرية تتحكم في بنية كل بيت.

على هذا الأساس، نجد القللوسي في الختام المفضوض، ينتقد البيتين السابقين، في معرض حديثه عن التغييرات اللاحقة بالمتقارب، فيعلق على البيت الأول بقوله: «وعلى هذا ينبغي أن ينقد على أبي عمران الميرتلي»[1].

ويعلق على البيت الثاني بقوله: «وعلى هذا ينبغي أن يُخَطَّأ أبو عمران الميرتلي في قوله... »[2].

والملاحظ هنا أن الانتقاد الذي وجهه القللوسي إلى البيتين، يتحدد في علة الخَرَم[3] التي لحقت البيت الأول؛[4] وهي علة متعلقة بالتحولات الطارئة على البحور: الزحافات والعلل، تحولات تحدد العلاقة بين الصور المتعددة للوحدات الإيقاعية والأنساق[5].

وقد أنكر الخليل الخَرَم لقلته[6]، والملاحظ هنا أن رأي القللوسي امتدادٌ لنظرية الخليل في علاقة الفروع بالأصول.

---

(1) الختام المفضوض ورقة 10 و.

(2) نفسه ورقة 46 ظ.

(3) الخرم علة تكون في الابتداء، وهو حذف من أوائل الأوتاد، وقد ذكره ابن عبد ربه في الأرجوزة:

والخرم في أوائل الأبيات ... تُعرف بالأسماء والصفاتِ

العقد الفريد 243/6.

وقد أنكره أبوبكرٍ القللوسي، وقال: «والخَرَم حيث وقع قبيح باتفاق من الناس، وقد تجنبه المحدثون البتة، حتى صار محظوراً عندهم، اللهمَّ إلاَّ أن يكون في عروض المتقارب، في أول النصف الثاني، إذا كان البيت مصرعاً، أو في عروض الهزج أو مربّع الوافر»: الختام المفضوض، ورقة 9 ظ.

(4) أسقط أول الوتد المجموع من أول الصدر، فتحولت فعولن إلى (فَعْلُن)، ويسمى الأثلم: عروض الورقة للجوهري: ص 65، والوافي في نظم القوافي ص 272.

(5) العروض والقافية: ص 137.

(6) اختلف العروضيون فيما بعد الخليل في الحكم على الخَرَم، فالأخفش أجازه، وذهب في بيان أصل الخرم إلى «أن ذلك من أجل أنَّ بين كل بيتين سكتة، فكأن المحذوف يعادل السكتة»: الغامزة ص 116، وانظر تعليق د. محمد العلمي على ذلك في العروض والقافية ص 290.

=

أما البيت الثاني، فقد وقع في ضربه الحذف.(1)

ولا شك أن المعنى والإيقاع الموسيقي في ذينك البيتين يمسان الإحساسات الداخلية، وهو إيقاظ الفرد بمستواه الصوفي الذي بداخله، ليجد هذه السكينة في تسليم الأمور إلى الله عزَّ وجلَّ.

ومن النماذج الشعرية الأخرى التي اخترنا الوقوف عندها لتحليل علاقة الإيقاع الموسيقي بالمعنى، قوله: [من السريع]

مالي وللدنيا وَعِلْمِي بها غَـرَّارَةٌ خـدَّاعـةٌ مـالـي
تَغُرُّني حتَّى إذا مُكِّنَتْ تعبثُ في نفسي وفي مالي
هِمتُ بها حُبّاً فقد أفسدت ما كان من صالح أعمالي
أعمى الهوى قلبي وحُبِّي لها رأْسُ خطايايَ وأعمالي
تبكي على الفائت من حظها عيني بِتَسكاب وَإِهمَالِي
يَا ربِّ زهِّدْني في حُبِّها ولا تؤاخذني بإهمالي

وقوله: [من السريع]

ما الزهدُ يا قَوْم فلا تجهلوا بِلُبْسِ أَسْمَالٍ وأَخْلاَقِ
لكنَّهُ لُبسُ ثيابِ التُّقَى في حُسْنِ آدابٍ وأَخْلاقِ

نلاحظ في المقطعة الأولى، الأبيات متناسبة المسموع والمفهوم، مع ترتيب الفصول، بحيث قدَّم من الفصول ما يكون للنفس به عناية في موضوع الزهد. وفيما يخص تأليف الأبيات، نلاحظ أنه حريص على تقديم المعاني بشكل متناسب، بمعنى أنه قدَّم المعنى الذي هو عمدة معاني الأبيات، وهو

= كما أجازه الجوهري: (عروض الورقة ص 65)، واستحسنه حازم القرطاجني، وناقش هذا التغيير من خلال موضوع تناسب الأوزان، وما يسوغ فيها من التغايير وما لا يسوغ، وقال: «وحذف أول الوتد في صدور البيوت، أحسن من حذف ثاني السبب الثقيل» منهاج البلغاء ص 259-260.

(1) تحولت فعولن في الضرب إلى **فَعُو**، وتنقل إلى **فَعَلْ**، ويجوز هذا الحذف عند الجوهري. انظر عروض الورقة ص 66، والعقد الفريد 286/5، وفيه أنه: "ضرب محذوف معتمد".

"**الدنيا**"، ثم استرسل بعد ذلك في ترتيب المعاني حسب تدرجها في التناسب، ثم ذيَّل الأبيات "بالزهد في الدنيا"، وهو ما يناسب اتجاه المعاني الواردة في المقطعة.

ونلاحظ أن تركيب الوزن العروضي هنا، وهو بحر السريع، متداخل مع الشكل المستعمل للخطاب: حب الدنيا/الزهد في الدنيا، الزهد والعوالم المتعارضة، قد ولَّد لدينا إحساسا مزدوجا يجمع بين الاتفاقات والاختلافات. إذ قوَّم الميرتلي هنا، عروضياً ونفسياً، الإحساس بالرضى الذي يرتبط لدى الإنسان بالإحساس غير المتوقع النابع من المتوقع، بحيث لا يمكن أن يُفَكَّر في أحدهما دون أن يُفَكِّر في نقيضه: إذ الزهد في الدنيا لا يمكن أن يوجد دون وجود حبّ الدنيا.

ثم إن المشابهة الظاهرة في الصوت الذي تخلفه هذه السلسلة التجنيسية في القافية: **مالي/أعمالي/إهمالي**، تحيل على مشابهة في المعنى، بحيث يصبح معنى "**مالي**" المتكرر يشمل الموضوع كله.

أما في البيتين المفردين:

ما الزهدُ يا قَوْمِ فلا تجهلوا بِلُبْسِ أَسْمَالٍ وأَخْلاَقِ
لكنّهُ لُبْسُ ثيابِ التّقَى في حُسْنِ آدابٍ وأَخْلاقِ

فالمعنى هنا يحيل على هذا التجاذب بين العالم الخارجي والعالم الداخلي؛ إذ إن إشارته إلى لباس الصوف والخَلَق من الثياب، مشحونة بالمرجعية التاريخية في التراث الصوفي التي ربطت بين التصوف ولباس الصوف، بحيث غدا المظهر الخارجي مقياسا للمتصوف.

بينما إشارته إلى لباس التقوى ومكارم الأخلاق يحيل على العالم الداخلي الذي به نقيس درجة الزهد عند صاحبه، وهذا المعنى تأكيد لجوهر الزهد عند الميرتلي.

هذان العالمان المتعارضان ينسجمان مع تعارض المقاطع النغمية الطويلة والقصيرة في السريع: (مستفعلن مستفعلن فاعلن ←— فعلن)، حيث اهتدى الميرتلي إلى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس، من جهة اللفظ والمعنى والوزن.

كما التزم في القافية ما لا يلزم، حيث يعكس هذا الالتزام براعة الشاعر، وسعة مخزونه اللغوي، وقدرته الواسعة في ربط اللغة بالمعنى والوزن.

ففي المقطعة الأولى، التزم مجموعة من الحروف هي: الميم والألف واللام والياء، وفي الثانية التزم تكرار كلمة بعينها (**أخلاق**) في القافيتين معا التي تشير إلى الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى.

نستفيد من ذلك أن الشاعر بنى الأبيات على القافية، وهو المذهب المختار في بناء الشعر[1].

وتغدو القيمة الدلالية للقافية هنا، تُلمس من خلال تفاعل الوزن بالمعنى، بحيث يصبح تفاعلهما وتناسبهما المبدأ المهيمن في عالم النظم عند الميرتلي.

ثم إن امتداد المعنى في الأبيات كلها، يناسب امتداد الصوت في السريع، وذلك راجع إلى كثرة السواكن فيه، إذ إن «المتحركات لا يمتد فيها الصوت فيظهر الاختلال، والسواكن يمتد فيها الصوت فيخفى، وفي السريع هذا القدر»[2].

يبدو مما تقدم، أن الميرتلي حريص على ربط المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيِّلها للنفوس، وبذلك نفسر التجاءه أحياناً إلى الحذف والاختصار في الوزن حتى يكون قدر المعنى مناسباً لقدر الوزن.

---

(1) منهاج البلغاء ص 281.
(2) الختام المفضوض ورقة 35 ظ.

مصـــادر شعـــره

كان ديوان أبي عمران الميرتلي، وحكمه ومنظوماته معروفا في القرن السابع الهجري، فابن الأبار يؤكد لنا أن شعره كُتب ودُوِّن وهو بأيدي الناس.[1]

واستمر تداوله إلى القرن التاسع الهجري، فقد رواه المنتوري، فقال: «تآليف الشيخ أبي موسى بن عمران القيسي الميرتلي وحكمه ومنظوماته حدثني بها القاضي أبو بكر بن جزي عن أبيه عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير عن القاضي أبي الخطاب بن خليل عنه».[2]

إلا أن أصل هذا الديوان لم يصلنا، وإنما كل ما وصلنا منه، شعر تداولته المصادر المتعددة التي احتفظت لنا به. وقد وجدت فيه مادة مشجعة على إعادة بناء الديوان، وفيما يلي توضيح للمصادر التي اعتمدتها في هذا البناء:

I - المصادر الأندلسية والمشرقية المفقودة:

1 - برنامج أبي الخطاب بن خليل[3].

2 - برنامج أبي الحسن الشَّارِّي[4].

3 - الملتمس لا يعرف مؤلفه[5].

4 - روح الشِّعْر ورَوْح الشِّحْر لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الجلاَّب الفهري المُري المتوفى سنة 664هـ[6].

---

(1) التكملة 179/2.

(2) برنامج المنتوري [محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك بن عبد الله القيسي المنتوري] مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 1578.

(3) صلة الصلة 52/3-54.

(4) صلة الصلة 53/3.

(5) نفح الطيب 487/2-488، 296/3-297.

(6) لمح السحر ص 154.

5 - معجم موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة 640هـ، وهو والد ابن سعيد الأندلسي علي بن موسى المتوفى سنة 685هـ[1].

6 - معجم الشقندي[2].

7 - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي المتوفى سنة 710هـ، السفر السَّابع[3].

8 - المعجب لشمس الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد المعروف بالحافظ اليغموري المتوفى سنة 673هـ، وهو مختصر كتاب "المُغرب في أخبار المغرب" لعلي بن سعيد المتوفى سنة 685هـ[4].

9 - كتاب النُّضَار في المَسْلاَة عن نُضَار لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الجياني المتوفى سنة 745هـ، اقتبس الصفدي منه ترجمة الميرتلي في كتابه "الوافي بالوفيات" 134/26ب.

II - المصادر الأندلسية والمغربية والمشرقية المخطوطة:

1 - شعر أبي عمران الميرتلي، مخطوط بمكتبة الزاوية الحمزاوية - زاوية سيدي حمزة - إقليم الراشدية، رقم 282، منه مصغرة ميكروفيلمية بالخزانة العامة بالرباط رقم 221 (ص 72-74).

2 - الإفادات والإنشادات جمعها علي بن العربي الشهير بالتواتي نسبا التيوريري قبيلة الفاسي دارا ومنشأ (مخطوطة خاصة).

---

(1) قال ابن سعيد في الغصون اليانعة (ص 135): «وقفت على ترجمته (أي الميرتلي) في معجم الشقندي ومعجم والدي».

(2) نفسه.

(3) الذيل والتكملة 252/6.

(4) المحاضرات والمحاورات للسيوطي ورقة 149و.

3 - الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض تأليف أبي بكر محمد بن محمد ابن إدريس بن مالك القضاعي القللوسي المتوفى سنة 707هـ:

أ - مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 15777.

ب - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 3431 د.

4 - زَهْرة الظَّرف وزُهْرة الطَّرف في بسط الجمل من العروض المهمل تأليف أبي محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاعي القللوسي المتوفى سنة 707هـ: مخطوط بمكتبة الإسكوريال بإسبانيا رقم 288.

5 - ترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من أخبار الأندلسيين: مصغرة ميكروفيلمية بالخزانة العامة بالرباط رقم 32 [توجد بأول المجموع].

6 - روضة الأنوار ونزهة الأخيار تأليف عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة 875هـ.

أ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2399 د.

ب - مخطوط خاص بتطوان.

7 - مجموع شعري (مخطوط خاص).

8 - ألف باء لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 895 د.

9 - الوافي بالوفيات تأليف خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة 764هـ، الجزء 26 مصغرة ميكروفيلمية بالخزانة العامة بالرباط رقم 787.

10 - العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، تأليف عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة 875هـ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1152 د.

11 - برنامج المنتوري [محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك بن عبد الله القيسي]، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 1578، ومخطوط بالخزانة الملكية بمراكش رقم 12667.

12 - كناشة أدبية (مخطوطة خاصة).

13 - نقول وفوائد، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1250.

14 - طرر المجالس لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري المتوفى سنة 1069هـ: مخطوط بالخزانة الحسنية الرباط رقم 1570.

III - المصادر الأندلسية والمغربية والمشرقية المطبوعة:

1 - الروض المعطار في خبر الأقطار [معجم جغرافي] تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري التونسي (كان حيا سنة 726هـ)، حققه د.إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ط2، 1984.

2 - المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تأليف محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة 781هـ، دراسة وتحقيق د.ماريا خسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1401هـ-1981.

3 - ألف باء لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المتوفى سنة 604هـ، عالم الكتب، بيروت (بلا تاريخ).

4 - الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة 685هـ، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار المعارف، القاهرة ط3-1977.

5 - الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تأليف علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972.

6 - رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط 1968.

7 - سير أعلام النبلاء تصنيف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ، الجزء الحادي والعشرين - تحقيق د.بشار عواد معروف ود.محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت ط7، 1410هـ 1990هـ.

8 - برنامج شيوخ الرعيني [أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن هيصم الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة 666هـ] - حققه إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1962.

9 - أعلام مالقة تأليف أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق د.عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط 1999.

10 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ (الطبقة 61، سنة 601-610هـ)، حققه بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1- 1408هـ-1988م.

11 - التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة 658هـ:

أ - تحقيق د.عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء (بلا تاريخ).

ب - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 4135 د.

12 - تحفة القادم لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، أعاد بناءه وعلق عليه د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط-1 1406هـ- 1986م.

13- المُغرب في حُلَى المغرب لأبناء سعيد، حققه وعلق عليه د. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب رقم 10، دار المعارف، القاهرة، ط3- 1978.

14 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ، الجزء الثاني والثالث، حققه د .إحسان عباس، دار صادر بيروت 1408هـ-1988م.

15 - صلة الصلة تأليف أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي المتوفى سنة 708هـ، القسم الثالث، تحقيق د.عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط 1413هـ-1993م.

16 - جُنَّة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى، تأليف أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي المتوفى سنة 857هـ، الجزء الأول، تحقيق د.صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان 1410هـ-1989م.

17 - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي المتوفى سنة 703هـ - السفر السادس - تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1- 1973.

18 - شرح مقامات الحريري لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي المتوفى سنة 619هـ - 5 أجزاء - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت 1413هـ-1992م.

19 - شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، جمع وتأليف محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق (بلا تاريخ).

20 - البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت 754هـ) الجزء العاشر، بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1413هـ. 1992م.

شـــعـــره

قافية الهمزة

[1]

ومن ديوان الفقيه الزاهد الورع المنقطع إلى الله تعالى المُتَبَتِّل أبي عمران موسى بن عمران بن حسين بن موسى بن عمران القيسي... قال رحمه الله تعالى يرثي أخته الحرة الصالحة : [من الطويل]

1 - أَلاَ إنَّها الأقدارُ فَارْضَ بِحُكْمِهَا ... وصَبراً على مَكرُوهِهَا وَابْتِلاَئِهَا
2 - شَقِيقَةُ نفسِي أُودِعَتْ قَعرَ رَمْسِهَا ... فَعَيني مَا تنفكُّ تَهْمِي بِمَائِهَا
3 - شُغِلْتُ بها عنها وجَلَّ مُصَابُهَا ... فَأَذْهَلَنِي وَجْدِي بهَا عن رِثَائِهَا
4 - ولكنَّ أولَى بِي احْتِسَابُ ثَوابِها ... وصبرٌ يَكُفُّ النفسَ عن غُلَوَائِهَا
5 - وأسألُ[1] رَبي أن يُقَدِّسَ رُوحَها ... ويُسْعِدَ في عَدْنٍ غداً بلقائِهَا
6 - يُهَوِّنُ وَجْدِي أنني لاَحِقٌ بهَا ... وعَمَّا قليلٌ نازِلٌ بِفِنَائِهَا
7 - لكِ الله بالحسنى كفيل وبالتي ... تَزيدُ بها الحُسنَى سَناً لِسَنَائِها
8 - فكَمْ ليلةٍ أَحْيَيْتِهَا بتهجُّدٍ ... أَمَتِّ الكَرى فيها لِنيلِ جَزَائِهَا
9 - ويومٍ مَصيفٍ صُمْتِهِ وَلِشَمسِهِ ... هَجِيرٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ دونَ عَنَائِهَا
10 - وكم رَحِمٍ مَجْفُوَّةٍ قد وَصَلْتِهَا ... وأَغْضَيْتِ حِلْمًا عن قبيحِ جَفَائِهَا
11 - سَرائِرُ خيرٍ كنتِ أسررتِ جَمَّةً ... فَألبسكِ الرَّحمانُ فَضْلَ رِدَائِهَا
12 - حَلِيفةُ صَوْنٍ وانقباضٍ وعفَّةٍ ... شَهيدٌ لها بالفضلِ طِيبُ ثَنائِهَا
13 - هَنيئاً لها ما زَوَّدَتْهُ من التُّقَى ... وما ذَخَرَتْ مِنْهُ لدارِ ثَوَابِها
14 - عليها سلامُ اللهِ من مُتَفَجِّعٍ ... حَليفِ أسىً ما إنْ يَنِي من دُعَائِهَا
15 - سَلاَمٌ[2] على اللَّذَّاتِ والعيشُ بعدَها ... وأيامُ أنسٍ أَذِنَتْ بانقضائِهَا

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار(أ) : ص 129- 130 ، (ب) : 5 أ - ب.

---

(1) روضة الأنوار (ب)" "ونسأل".
(2) بياض في روضة الأنوار (أ).

قافية الباء

[2]

قال ابن الأبار: وأنشدني غيره له: [من الكامل]

1 - عَجَباً لنا نبغي الغِنَى والفقرُ في   نَيْلِ الغِنَى لو صَحَّتِ الألبابُ
2 - فِيمَا يُبَلِّغُنَا[1] المحلَّ كفايةٌ   والفضلُ فيه مَؤونةٌ[2] وحسابُ

التخريج: شرح مقامات الحريري 26/4، والتكملة لكتاب الصلة (ط): 180/2-181، (خ) ورقة 111 و، وتاريخ الإسلام وفيات سنة 604هـ ص167-168.

[3]

قال ابن مرزوق التلمساني: أنشدني غير واحد من أشياخنا بسندهم إلى الزاهد أبي عمران المارتلي (نفع الله واياي أعني): [من الوافر]

1 - أرى الأيامَ تَسْلُبُنِي مَشِيبِي   وتَذهبُ مثلَ مَا ذَهَبَ الشَّبابُ
2 - وتَدْفَعُنِي وأَدْفَعُها الليالي   ويُوشِكُ أَنْ يكونَ لَهَا انقلابُ
3 - ذَهِبنَ بِقُوَّتِي ورَضَضْنَ عَظْمِي   فَحِينَ أقومُ يَعرِضُ لي اضطرابُ
4 - وأَنهضُ حينَ أنهضُ بعد لأْيٍ   تُثَقِّلُنِي لدى الخَطْبِ الثيابُ
5 - إذا بلغَ امرؤٌ سِتِّينَ عاماً   فقد أَشْفَى وجَدَّ بِهِ الذَّهَابُ
6 - وقد بُلِّغْتُهَا وازددتُ سَبْعاً   وَزِدْتُ غِوَايَةً فمتى المَتَابُ

التخريج: المسند الصحيح: ص 426.

---

(1) شرح مقامات الحريري: "يبلغني".
(2) شرح مقامات الحريري: "تكاثر".

[4]

قال الزاهد ابن عمران : [من الطويل]

1 - تَـوَقَّ وَحَـاذِرْ من قَبولِ هَـدِيـةٍ وإنْ جَاءنا[1] فيها الحديثُ المُرَغَّبُ[2]
2 - فقـد حَـدَثَتْ بعدَ الرسولِ حوادِثٌ تُحَـذِّرنـا منهـا وعنهـا تُـرَغِّـبُ
3 - وكانت هَدِياتُ[3] الأوائل قبلَنا تُـؤَلِّف فيما بينَهُم وتُـحبِّبُ
4 - فعادت بَلاَيـا يُسرعُ المَنُّ نَحْوَهَا[4] تُـفَرِّقُ فيما بَيْنَـنَـا وتُجَنِّبُ[5]

التخريج : شرح مقامات الحريري62/1 ، وشعر أبي عمران الميرتلي ص74 ، ونقول وفوائد ص 114- 115.

[5]

وقال رحمه الله تعالى : [من البسيط]

1 - ما أَعْلَمَ الناسَ بالدُّنيا وأَجْهَلَهُمْ بأمرِ دِينهمُ هَذَا هُوَ العَجَبُ
2 - والدِّينُ فيه نَجَـاةُ الـمُمْسِكِينَ بـه لو يَعلمونَ وفي دنياهُمُ العَطَبُ
3 - وما أقولُ بِهِمْ جهلاً بدينهمُ لكنْ بِأنْ آثرو دُنياهُمُ حَجَبُوا
4 - لو أنهمْ زَهِدوا فيها إذاً سَعِدُوا بالزهدِ فيها وزالت عَنْهُمُ الحُجُبُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 117 ، (ب) 3ب.

---

(1) في شرح مقامات الحريري : "جاءك" وفي شعر أبي عمران : "جاء".
(2) في نقول وفوائد : "حديث مرغب"، وكان عمر رضي الله عنه لا يقبل هدية العمال، وإذا قبلها وضعها في بيت المال، فقيل له : إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية، فقال : إنها كانت هدية، وهي الآن رشوة : أنظر : نقول وفوائد ص 114.
(3) في شعر أبي عمران "لكانت هدايا في"، وفي نقول وفوائد : "وكانت هدايا في".
(4) في نقول وفوائد : "بعدها".
(5) في نقول وفوائد : " وتخيب".

[6]

وأنشد: [من الكامل]

1 - شيئانِ لو بَكَتِ الدِّماءُ عليهما عينايَ حتى يُوذِنا بِذَهَابِ
2 - لم تَبْلُغَا المِعْشَارَ من حَقَّيْهِمَا فَقْدُ الشَّبابِ وفُرقَةُ الأَحبابِ

قال ابن مرزوق التلمساني: صدق رحمه الله، ورأيتهما في ديوان المارتلي منسوبين له، وسمعت من زعم أنهما للمتقدم، والله أعلم.

التخريج: المسند الصحيح ص 426-427.

[7]

وله رضي الله عنه: [من الوافر]

1 - إلى كَمْ ذَا أُسَوِّفُ بِالمتابِ وَهَذا الشَّيبُ يُوذِنُ بالذَّهابِ
2 - وَأَلْهُو[1] وَالمنايَا غَائِلاتٌ تَجِدُّ ولا تُقَصِّرُ في طِلاَبِي
3 - بَلَوْتُ شَبِيبَتي وزمانَ شَيْبِي فلا شَيْبِي حَمِدْتُ ولا شبابِي
4 - شبابٌ قد تَقَضَّى في انهماكٍ وشَيْبٌ ما يَكُفُّ عنِ النِّصَابِ

التخريج: المسند الصحيح ص 426.

[8]

ومن إنشاد الشيخ أبي عمران موسى بن حسين القيسي رحمه الله تعالى في أمور الآخرة. قال: [من الطويل]

1 - ولَمَّا أطلَّ الشيبُ والشيبُ مُوذِنٌ بِقُرْبِ حِمَامِي وانقضاءِ شَبَابِي[2]
2 - بَكِيتُ على نفسٍ تَدَانَى حِمَامُهَا فَأَفْنَيْتُ دَمْعِي وانْقَلَبْتُ لِمَا بِي
3 - وليس بُكَائِي رَهْبَةَ المَوتِ إنَّمَا أَخافُ بِذَنْبِي أن يَطُولَ حِسَابِي

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 116، (ب) 3 ب، والعلوم الفاخرة ورقة 29ظ، ومجموع شعري ص 2-3.

---

(1) في الأصل" و "الهوى"، و"الصواب ما أثبتناه".
(2) في المجموع شعري: "شَيَابِ".

[9]

ثم قال : [من الطويل]

1 - لأَوْحَشُ من هَذِي[1] الجزيرةِ أَنَّهَا ... تَكَنَّفَهَا الأعداءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

2 - ففي كل يومٍ رَوعَةٌ تُقْلِقُ الحَشَا ... وفي كلِّ حينٍ رِقَّةٌ للنَّوادِبِ

3 - لقد شَنِئَتْ نفسِي المُقَام بأَرضِها ... وَزَهَّدَنِي فيها توالي المَصَائِبِ

4 - مَنْ ذا الذي فيها يَرى مَا يَسُرُّهُ ... ومن يُرْتَجَى فيها لدفعِ النَّوائبِ

5 - فَفِيهِمْ[2] سِوَاها لا تَدَعْ لأَحِبَّةٍ ... تُفَارِقُهُمْ فيها ولاَ لأَصَاحِبِ

6 - فإنَّ فرارَ المرءِ منهَا بِدِينِهِ ... وبالنَّفسِ تُنْجِيهَا مِنَ أوْجَبَ وَاجِبِ

7 - وَكُنْ طالباً للأمنِ حيثُ وجَدْتَهُ ... فلم أرَ مِثْلَ الأمنِ عيشاً لِطَالِبِ

8 - أَلاَ إِنَّ من ضَعْفِ الفَتَى أن يُرَى لَهُ ... نُزُوعٌ لأَرْضٍ أو حنينٌ لِصَاحِبِ

9 - ويَرْضَى على الخَسْفِ المُقَامِ بِمَوْضِعٍ ... يُسَامُ به ذُلاًّ ويُرْمَى بِحَاصِبِ

10 - وكلُّ اجتماعٍ للفراقِ مآلُهُ ... وليس احتمالُ الضَّيْمِ ضَرْبَةَ لاَزِبِ

11 - فَشَرِّقْ إذا آنَسْتَ أُنْساً بِمَشْرِقٍ ... وَغَرِّبْ إذا آنَسْتَهُ بالمَغَارِبِ

12 - وَكُنْ آخِذاً فيها بِزَلَّةِ حَازِمٍ ... تُقَوِّمُ مِنْ أهلِ النُّهَى والتَّجارِبِ

13 - إذا كان أَصْلٌ من تُرابٍ فَكُلُّهَا ... بلادِي وكُلُّ العَالَمِينَ أَقارِبُ

14 - فلولاَ اعْتِلاَلٌ نالَ جِسمي كَبْرَةً ... وقلَّةُ مالٍ لاعْتَمَلْتُ رَكَائِبِ

15 - أَجُولُ بآفاقِ[3] البلادِ مُغَرِّباً ... بقطعِ فَيافي وَاعْتِسَابِ سَبَاسِبِ

16 - وَمَالِيَ عُذْراً أو أنال رغيبة ... فما خير عيش دون نيل الرغائب

17 - وَمَالِيَ في شيءٍ سوى البيتِ رغبةً ... أُؤَدِّي به فَرْضِي وأَقْضِي[4] مَآرِبِي

---

(1) في الأصل : (هذه).

(2) في الأصل : "فيهم"، ولا يستقيم بها الوزن.

(3) في الأصل : "بآفاقي"

(4) في الأصل : "واقض".

18 - أكونُ به طوراً وطوراً بِطِيبَةٍ		فَأبلُغُ آمالي وأنسَى مَطالبِي
19 - فإن فَجَأَتْنِي قبل ذلك مَنِيَّةٌ		فما أنا في هَذِي الحياةِ براغبِ
20 - وما رغبتي فيها وقد هَدَّهَا قُوَّتِي		مُقارعةُ السِّنين وانهدَّ جَانِبِي
21 - وَمَاتَ لِدَاتِي من كِرامٍ عَهدتُهُمْ		وصرتُ غريباً بين قومٍ أَجَانبِ

التخريج: شعر أبي عمران الميرتلي ص73-74.

قافية التاء

[10]

وله أيضا: [من البسيط]

1 - أَحِبَّةُ الناسِ مَن لم يُرْزِهِمْ قُوتاً
من يُرْزِئِ النَّاسَ شيئاً كَانَ مَمْقُوتاً

التخريج: أدباء مالقة (تحقيق د.صلاح جرار) ص 392 أو أعلام مالقة (تحقيق د.عبد الله المرابط الترغي) ص 364.

قافية الحاء

[11]

وله أيضا: [من الطويل]

1 - خَلِيلَيَّ لاَ يَغْرُرْكَ مِنِّيَ ظَاهِرِي		وَمَهْمَا سألتَ اللهَ فَاسأَلْهُ لي صَفْحَا
2 - فلو كنتَ ذا عِلمٍ كعلمي بِبَاطِنِي		لأَضْرَبْتَ عَنْ ذكري أيادي النُّهَى صَفْحَا
3 - وَلَكِنْ أرى اللهَ الجميلَ بِفَضْلِهِ		فلم يُفْشِ لي سِرًّا ولم يُبْدِ لي صَفْحَا

التخريج: شرح مقامات الحريري 19/3.

قافية الدال

[12]

وله في الخُطَّاف: [من البسيط]

1 - يا أحسنَ الطَّيرِ تطريباً وترديداً نَسَّيْتَنَا[1] مَعْبَداً لَحْناً وَتغرِيدَا
2 - قد هَاجَ لي طَرباً صَوْتٌ تُرَدِّدُهُ لاَ بَمَّ يَعْدِلُهُ عندي وَلاَ عُودَا
3 - جَـزَاكَ رَبِّي عنِّي كلَّ صالِحَـةٍ آنَسْتَ مُسْتَوْحِشاً قد بات مَعْمُودَا[2]

التخريج: أدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص 392 أو أعلام مالقة (تحقيق د.عبد الله المرابط الترغي) ص 363.

[13]

وللزاهد ابن عمران رحمه الله وقد استبطأ في دخول الحمام: [من البسيط]

1 - يَا صَاحِ عَهْدِي بالحَمَّام قدْ بَعُدَا فلا تَلُمْنِي فيه إن طَلَبْتُ مَدَى
2 - قارعتُ فيه العِدَا في مَعْرَكٍ لَجِبٍ دَحْضٍ تَزِلُّ به الأَقدامُ به قد بَعُدَا
3 - عِداً أَثَرْنَ بِرأسِي حِينَ ثُرْنَ بِهِ تَوَقُّداً وأعادَتْ جِلْدَهُ جَلِدَا
4 - فَظِلْتُ مُسْتَأْصِلاً بِالقَتْلِ أجمعُهَا فَلَمْ أَدَعْ وَالِداً منها ولاَ وَلَدَا
5 - ثم انثنيتُ مُعَافىً نَاعماً جَذِلاً مُظَفَّراً أَسْتَزِيدُ الوَاحِدَ الصَّمَدَا

التخريج: شرح مقامات الحريري 1/177.

---

(1) في أعلام مالقة: "أنسيتنا"
(2) في أعلام مالقة: "أَنِسْتَ مُوحِشَ قَلبٍ باتَ مَعْمُودَا".

[14]

قال أبو بكر القَلَلُوسِي: قلت:[1] وعلى هذا ينبغي أن يَنْقد على ابن عمران المرتلي قوله: [من المتقارب]

1 - سَلِّمْ لمـولاكَ فيما أرادَ　　وَعَـدِّ بِنفسكَ عَمَّا تُريدُ

التخريج: الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض (أ) ورقة 10و، و(ب) ص16.

[15]

قال أبو بكر القَلَلُوسِي: ومن أغرب مَا مَرَّ بي للمُحْدَثين في الطويل مما اسْتُعْمِل عن قصدٍ بيتان أحدهما كاملٌ، والآخر طويل.... وَهُـ [مَا] لابن عمران المرتلي الزاهد، البيتان: [من الكامل]

1 - أُنْظُرْ إلى هَـذَا الوُجُودِ بِأَسْرِهِ　　يَفْنَى ويذهبُ كُلُّهُ ويبيـدُ

[من الطويل]

2 - وفي ذَلِكُمْ ذكرَى لِمن كَانَ وَاعِياً　　بِقَلْبٍ وأَلْقَى السَّمْعَ وَهْـوَ شَهِيـدُ

التخريج: الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض (أ) ورقة 24 ظ، (ب) ص42.

---

(1) قال أبو بكر القللوسي: "الخرم حيث وقع قبيح باتفاق من الناس، وقد تجنَّبه المحدثون البتة حتى صار محظوراً عندهم اللهم إلا أن يكون في عروض المتقارب في أول النصف الثاني إذا كان البيت مُصَرعاً أو في عروض الهزج أو مُربّع الوافر...." انظر: الختام المفضوض (أ) ورقة 9 ظ.

[16]

قال أبو بكر القَلَلُوسِي : ومن أغرب مَا مَرَّ بِي للمُحْدَثين في الطويل مما استعمل عن قَصْدٍ .... ثلاثة أبياتٍ الصُّدُورُ منها كامل ، والأعجازُ طويل ، وهي لابن عِمْران المرتلي الزاهد ، والثلاثة[1] :

[من الكامل] [من الطويل]

1 - صَنَمَانِ مَعْبُودَانِ قد فَتَنَا الوَرَى ولستُ بِمُسْتَثْنٍ لُجَيْنٌ وَعَسْجَدُ

2 - بَذَلُوهُمَا المجهودَ مِنْهمْ ما وَنَـوْا فلم يَبْقَ إلاَّ أَنْ يَخِرُّوا وَيَسْجُدُوا

3 - لَهُمَـا يُحَجُّ البيتُ قُدِّسَ تُـرْبُـهُ وَيُنْسُـكُ نُسَّـاكٌ وَيَعْـمُـرُ مَسْجِـدُ

قال أبو بكر القَلَلُوسِي : وهذا وإن كان من أوزانهم فلا يُعَدُّ شِعْراً لأنه مُخْتَلِطُ الوَزْنِ.

التخريج : الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض (أ) ورقة 24 ظ، (ب) ص 43 ، وزَهرة الظَّرْف وزُهرة الطَّرْف في بسط الجمل من العروض المهمل ورقة 195ظ.

[17]

قال ابن رُشَيْد : أنشدتُ بقراءتي على شيخنا أبي محمد الخلاسي قال ، أنشدنا الشيخ أبو إسحاق ابن الفقيه أبي عبد الله بن إبراهيم بن الحاج السلمي البَلّفِيقِي قال ، أنشدني أبو عبد الله بن فرحون السلمي قال ، أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه :[2] [من البسيط]

---

(1) في زهرة الظرف : "قال أبو بكر القللوسي : فمن أغرب ما مر بي قول أبي عمران بن عمران المرتلي رحمه الله ، ووقفت عليها في ديوان شعره..."

(2) في رحلة العبدري : " وقرأت عليه (أي أبا محمد الخلاسي) : أنشدكم الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحاج البلفيقي ، قال : أنشدني أبو عبد الله بن فرحون السُّلمي ، قال : أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه...." ، وفي شرح مقامات الحريري : "ومما قيل في معنى قوله (أي الحريري) :

ويـدني إليَّ البعيـد البغيـض ويبعـد عني القريب الأنيسَـا

قول الزاهد ابن عمران....."

1 - إلمامُ كُلِّ ثقيلٍ قد أَضَرَّ بِنَا ... أَرُومُ[1] نَقْصَهُم[2] والشَّيءُ يَزدادُ
2 - وَمَنْ يَخِفُّ علينا لا يُلِمُّ بِنَا ... وللثّقيلِ مع السَّاعات تَرْدَادُ[3]

التخريج: ملء العيبة 330/2 ورحلة العبدري (تحقيق محمد الفاسي) ص250 وص508 (تحقيق د. علي إبراهيم كردي) ص508 وشرح مقامات الحريري 87/4 وتحفة القادم ص133 وطراز المجالس 132.

[18]

وله رحمه الله تعالى: [من الوافر]

1 - فقدتُ أحِبَّتي وفقدتُ صَحْبِي ... وَبَادَ جَمِيعُهُمْ وبَقِيتُ وَحْدِي
2 - بَكِيتُ لِفَقْدِهِمُ إذْ صِرْتُ فرداً ... فما لي بَعْدُ من يبكي لفقدي
3 - فَسَاعِدْنِي أُخَيَّ أُبَكِّ نَفْسِي ... وَأَنْعَاهَا إليَّ بِكُلِّ جَهْدِي
4 - عَلَى أَنَّ البُكَاءَ يُثِيرُ وَجْداً ... وَيستَلِبُ العزاءَ[4] وليسَ يُجْدِي
5 - وَمَا يُجْدِي البكاءُ عليَّ شيئاً ... إذا أُودِعْتُ وَحْدِي[5] قَعْرَ لَحْدِي
6 - وَوُسِّدْتُ التُّرابَ وصرتُ وَهْناً[6] ... بمَا قَدَّمْتُ مِنْ غَيٍّ وَرُشْدِ
7 - فيا مَولايَ كُنْ لي فيه عَوناً ... على خَصْمِي وأَمْدِدْنِي بِأَيْدِي
8 - وَهَبْ لِي منكَ عفواً لا تَدِنِّي[7] ... بمَا أسلفتُ مِنْ خَطَإٍ وعَمْدِ

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار(أ) ص117 و (ب) 3 ب، والعلوم الفاخرة ورقة 29 ظ ومجموع شعري ص3.

---

(1) شرح مقامات الحريري: "نروم"، وتحفة القادم: "يزيد".
(2) تحفة القادم: "بعضهم".
(3) ويقرب منه قول الشاعر:
وكيف يـودُّ القلب من لا يـوده ... بلى قد تريد النفس من لا يريدها
انظر: شرح مقامات الحريري 87/4.
(4) العلوم الفاخرة: "الغذاء".
(5) روضة الأنوار (أ): "لا ويحيي" وروضة الأنوار (ب) ومجموع شعري: "وَيْحِي".
(6) العلوم الفاخرة وروضة الأنوار (ب) ومجموع شعري: "رهنا".
(7) العلوم الفاخرة: "لا تذلني"، وفي الحاشية: "لا تذدني".

[19]

وله رحمه الله تعالى: [من الطويل]

1 - إذا ما حَلَلْتُ القبرَ أَسلمنِي له[1] أُهَيْلِي وأصحابي وكنتُ بهِ وَحْدِي
2 - ولم أرَ فيهِ صاحباً لي مُؤَنِّساً ولم يُغْنِ عنِّي ما أُخَلِّفه بعدِي
3 - سوَى عَمَلِي[2] إنْ كنتُ قدَّمتُ صالحاً فَما رغبتي فيما سِوَاهُ وما يُجْدِي
4 - سَأصرِمُ[3] عنِّي مَن[4] سواهُ بِعَزْمَةٍ أَرجِّي لها مَنْ ليس يُخْلِفُني وَعْدِي
5 - وأقطعُ أيامي بِخُلَّةِ صاحبٍ يكونُ به[5] أُنْسِي إذا ضَمَّنِي لَحْدِي
6 - وَيُنْقِذُني في العَرْضِ[6] من كلِّ شِدَّةٍ تَعَرَّضُ لي والناسُ في غايةِ الجَهْدِ
7 - فيا ربِّ يَسِّرني لذاك وكُنْ معي وَيَسِّرهُ لي يَا مَنْ يَمُنَّ ولا يُكْدِي

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص117، (ب) 4 أ، والعلوم الفاخرة ورقة 29 ظ ومجموع شعري ص 3-4.

قافية الذال

[20]

[وله في مدح الهر]: [من المتقارب]

1 - فَنِعْمَ[7] الجليسُ ونعمَ الأنيسُ ونعمَ المُعَدُّ لدفعِ الأَذى
2 - يَجُوسُ البُيُوتَ لِطَرْدِ الهَوامِ إذا عَسْعَسَ الليلُ واجْلَوَّذا
3 - ونعمَ الضجيعُ لِمستدفئٍ إذا كَلَبَ القَرُّ واستحوذا

---

(1) روضة الأنوار (ب): "به"
(2) روضة الأنوار (أ): "علي".
(3) العلوم الفاخرة: "سأصرف"
(4) العلم الفاخرة: "ما".
(5) العلوم الفاخرة: "معي".
(6) روضة الأنوار (أ): "المرض"
(7) ألف باء: "نعم".

التخريج : [1-2-3] ألف باء (ط) 389/1، (خ) ورقة 124 و، [1-3] أدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص 393 أو أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 364.

قافية الراء

[21]

وله : [من مجزوء الرمل]

1 - قَصُرَ العُمْرُ فَأَقْصِرْ وَدَنَا الموتُ فَشَمِّرْ
2 - وأتَى الشَّيْبُ نذيراً وكَفَى بالشَّيْبِ مُنْذِرْ
3 - أيُّها الشيخُ إلى كَمْ تَتَعَامَى لَستَ تُبْصِرْ
4 - وطريقُ الرُّشْدِ بَادٍ واضحٌ للعينِ نَيِّرْ
5 - فَأَنِبْ[1] واستغفرِ الـ ـلهَ مِنْ ذنبكَ يَغْفِرْ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 119، (ب) ص 4 ب، والعلوم الفاخرة ورقة 30 و، ومجموع شعري ص5-6.

[22]

وله رحمة الله تعالى علينا وعليه : [من الرجز]

1 - أشكو إليكَ من جِنَايَاتِ الكِبَرْ
2 - ثِقْلَ سَمْعٍ وكلالاً بِالبصرْ
3 - وَسَعْلاَةٍ مَعَ بَهْرٍ وَسَهَرْ
4 - وَشَنَجاً[2] بِالجِلْدِ[3] منّي قد ظَهَرْ

(1) روضة الأنوار (أ) : "فَأَتِبْ".
(2) روضة الأنوار (أ) : "وشجا".
(3) روضة الأنوار (أ) : "فالجلد".

5 - أشكو لَكَ[1] اللَّهُمَّ ذَالاَ لِلْبَشَرْ
6 - والموتُ يأتي بعد ذا على الأَثَرْ
7 - وموعدُ السَّاعاتِ أدهَى وَأَمَرْ
8 - هَوِّنْ عليَّ يا إلَهي المُنتظَرْ
9 - واختِمْ بخيرٍ وَأجرْنِي[2] مَن سَقَرْ
10 - مالي سِوَاكَ يا إلهي من وَزَرْ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 118-119، (ب) ص 4 ب، والعلوم الفاخرة ورقة 30 و، ومجموع شعري ص 5.

[23]

ومن شعر أبي عمران الميرتلي رضي الله عنه : [من المتقارب]

1 - يَقُولُونَ زَوِّجْ فَنِعْمَ الفَتَاةُ   عَرَضْنَا عليكَ تَنَلْ خَيْرَهَا
2 - ولو أستطيعُ لطَلَّقْتُ نفسِي   فكيفَ أُضيفُ لها غَيْرَهَا
3 - أَأَشْقَى بها دُونَ ما ضَرَّةٍ   وآمَنُ مع ضَرَّةٍ ضَيْرَهَا
4 - وما تقنعُ العِرْسُ منهُ بشيءٍ   سِوَى[3] أَنْ تُصَيِّرني عَيْرَهَا
5 - فَنَفْسِيَ أولَى بِنَفْسِي وَدَعْ   سِوَاهَا تَسرْ وَتَصِل سَيْرَهَا[4]

التخريج : ألف باء (ط) 398/1، (خ) ورقة 127 و.

(1) العلوم الفاخرة : "إليك" وروضة الأنوار (ب) : "لك أشكو".
(2) روضة الأنوار (ب) : "وأجزني".
(3) في (خ) : "ولا".
(4) في (خ) : "سرها".

[24]

قال رحمه الله تعالى : [من الكامل]

1 - هذا زَمَانُ تَجاهُلٍ وَتَسَامُحٍ وَتَغَافُلٍ عن أَهْلِهِ فَسَدَ الوَرَى
2 - فإذا سمعتَ فَكُنْ كأنَّكَ ما سَمِعْـ ـتَ وإن رأيتَ فَكُنْ كَأَنَّكَ ما تَرَى
3 - وَاجْهَدْ بنفسِكَ في التَّخَلُّصِ منهُمُ فعساكَ تَنجُو إنْ نَجَوْتَ وَمَا أَرَى
4 - أَوَ لاَ فِي قَعْرِ بيتكَ لا تَـرَى إنْ كنتَ ترغبُ في النَّجاةِ وَبِالحَرَى

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 72.

[25]

وللفقيه أبي عمران الميرتلي رحمه الله(1) : [من الطويل]

1 - تَبَاعَدْ عن السلطانِ لا تَغْش بَابَهُ فَتُسْلَبَ دِيناً أوْ تُصَابَ بِفَاقِرَهْ
2 - فليسَ بِنَاجٍ(2) من أَلَمَّ بِبَابِهِ وإنْ هُوَ أَغناهُ وَسَدَّ مَفَاقِرَهْ
3 - وما هو إلا النار يحرق(3) من دنا إليهِ فَلاَ تَقْرَبْهُ وَاخْشَ بَوَادِرَهْ

التخريج : ألف باء (ط) 489/1، (خ) ورقة 155 ظ، وترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من أخبار الأندلس ص 8.

[26]

وله أيضا : [من الطويل]

1 - لا تجزعَنَّ من الحوادثِ وَاصْطَبِرْ وَكِلِ الأُمُورَ لِمَنْ لَهُ تَدْبِيرُهَا
2 - فَلَرُبَّ حَادِثَةٍ أَتَتْ بِمَسَرَّةٍ وَمَسَرَّةٌ في طَيِّهَا تَكْدِيرُها

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 74.

---

(1) في ترجمة أبي عمران الميرتلي : " وأنشد له [أبو الحجاج ابن الشيخ المالقي] أبياتا في المباعدة عن غشيان أبواب السلاطين".
(2) في (خ): " بناجي".
(3) في ترجمة أبي عمران الميرتلي : "تحرق".

[27]

وله أيضا : [من الطويل]

1 - إلَهِي أَظْهَرْتَ الجَمِيلَ تَفَضُّلاً وَلَمْ تُبْدِ سَوْءَاتٍ تُكِنُّ الضَّمَائِرُ
2 - فَأَبْقِ عَلَيَّ[1] السَّتْرَ حَيّاً وَمَيِّتاً ولا تَفْضَحَنِّي يومَ تُبْلَى السَّرائِرُ
3 - وَهَبْ لِيَ غُفْرَاناً لذنبِيَ ماحياً فإنَّك[2] يا مولاَي لِلذَّنْبِ غَافِرُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص117، (ب) 4 أ والعلوم الفاخرة ورقة 29 ظ، ومجموع شعري ص 4.

[28]

وله رحمه الله وقد توفيت بعض صواحبات أخته رحمها الله بعدها بِسَنَةٍ : [من الطويل]

1 - أَأُخْتَيَّ لا يَلْمُمْ بِقبرَيْكُمَا نُكْرُ ولا زالَ مُنْهَلاًّ بِرَبْعِكُمَا القَطْرُ
2 - وما القَطْرُ يُسْتَسْقَى ولكنَّ رحمةٌ يُنَالُ بهَا زُلْفَى يُحَطُّ بها وِزْرُ
3 - تَرَحَّلْتُمَا عنَّا وخَلَّفتُمَا أَسًى تَشِبُّ على الأحشاءِ من حَرَّةِ الجَمْرِ
4 - كأنكما قد كُنْتُمَا تحتَ موعدٍ لتجتمِعَا فيه كما اتَّعَدَ السَّفْرُ
5 - تَصَاحبتُمَا طُولَ الحياة خَلِيلَتَيْ صَفَاءٍ وَحَادِي القبرِ من بَعْدِ ذَا القبْرِ
6 - فَهُنِّيتُمَا قُربَ الجِوَارِ وَفُزْتُمَا بجنَّةِ عَدْنٍ لا يُنَهْنِكُمَا[3] ذُعْرُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 130.

---

(1) روضة الأنوار (أ) : "عني".
(2) روضة الأنوار (ب) : "فأنت".
(3) روضة الأنوار (أ) : "لاينهنهكما".

[29]

وله رضي الله تعالى عنه : [من الطويل]

1 - وَإِنَّ[1] بَقَاءَ المَرْءِ يعملُ صَالِحاً ... ويَذْخَرُ زَادَ[2] ساعةٍ[3] لَكَثِيرُ
2 - إذَا[4] ماتَ لم يعملْ وأُودِعَ مُلْحَداً ... يُوافِيهِ فيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
3 - يُسَارُ بِه قد خَامَرَ الذُّعْرُ قَلْبَه[5] ... إليهِ مَرُوعاً والفُؤَادُ يَطِيرُ
4 - فكيفَ يَلَذُّ العيشَ مَنْ كَان ذَا ... وقد غابَ عنهُ ما إليه يَصِيرُ
5 - فَجِدَّ وَشَمِّرْ لِلَّذِي أنتَ صَائرٌ ... وَلاَ تَنِ[6] وَاجْهَدْ[7] فَالثَّواءُ يَسِيرُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار ص 118 ، والعلوم الفاخرة ورقة 30 و ، ومجموع شعري ص 5.

[30]

وقال الزاهد ابن عمران : [من البسيط]

1 - لِتُعْنَ بالجَارِ قبلَ الدَّارِ تَسْكُنُهَا ... لا خَيْرَ في الدَّارِ ما لم يُحْمَدُ الجَارُ
2 - الجَارُ إن غِبْتَ عن أهلٍ وعن وَطَنٍ ... نِعْمَ الخليفةُ هُمْ أهلٌ وأنصارُ

التخريج : شرح مقامات الحريري 341/5.

---

(1) روضة الأنوار : "إن".
(2) روضة الأنوار والعلوم الفاخرة : "زادا".
(3) روضة : "ساعات".
(4) روضة : "وإذا".
(5) روضة : "فكتبه".
(6) العلوم : "ولاتأن".
(7) العلوم : "فاجهد".

[31]

ومن شعره وما ألزم نفسه به قوله رضي الله عنه : [من البسيط]

1 - أَلزمتُ نفسِي واللهُ المُعينُ عَلَى إمضاءِ عَزْمِي فيمَا بَعْدُ أذكرُهُ
2 - فَمَنْ تَصَفَّحَ ما أُملِي وَيعذُرنِي فاللهُ عَنِّي يَجْزِيهِ وَيَشْكُرُهُ

التخريج : ألف باء (ط) 453/1، (خ) ورقة 144 و، وترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من أخبار الأندلس ص 7 .

[32]

ومن شعره : [من البسيط]

1 - مَا حَالُ مَنْ أَبْلَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ وخَانَهُ ثِقَتَاهُ السَّمْعُ وَالبَصَرُ
2 - حَالٌ يُجَاوِبُ عنها مَنْ يُسَائِلُهَا عَيْنٌ فَحَسْبُكَ مرأى العَيْنِ لا الخَبَرُ
3 - إن أَخْلَقَتْ جِدَّتِي أو أَذْهَبَتْ جُدَّتِي أو مَسَّنِي ضَرُّهَا فاللهُ لي وَزَرُ
4 - مالي سِوَى اللهِ مِنَ مولًى أُؤَمِّلُهُ هُوَ الرجاءُ وَإِنْ أَوْدَى بي الضَّرَرُ

التخريج : تحفة القادم ص 133.

[33]

ثم قال : [من البسيط]

1 - عَمَّ الفَسَادُ جميعَ النَّاسِ وَيْحَهُمُ يا ليتَ شِعْرِي مَاذَا بَعْدُ يُنْتَظَرُ
2 - إنْ وَعَدُوا أخْلفُوا أو حَدَّثُوا كَذَبُوا أو عَاهَدُوا غَدَرُوا أَوْ خَصَمُوا فَجَرُوا
3 - أَوِ ائْتَمَنْتَهُمُ خَانُوا فَكُنْ رَجُلاً مِنهمْ على حَذَرٍ قد يَنفعُ الحَذَرُ
4 - وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَاحذَرْ من مَكائِدِهَا لاتصدعَنَّكَ صَدْعاً ليس يَنْجَبِرُ

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 72.

[34]

قال ابن الزبير: ومن شعره مما أنشدنا أبو الخطاب [ابن خليل] مما أنشده[1]: [من المجتث]

1 - سَلِيخَةٌ وَحَصِيرُ لِمِثْلِ بَيتِي[2] كَثِيرُ
2 - وفيهِ شُكْرٌ[3] لِرَبِّي خُبزٌ وَمَاءٌ نَمِيرُ
3 - وفوقَ جِسْمِي ثَوْبٌ مِنَ الهَواءِ سَتِيرُ
4 - قُرِرْتُ عيناً بِعَيْشِي[4] فَدُونَ حَالِي الأَمِيرُ
5 - إِنْ[5] قلتُ إِنِّي مُقِلٌّ إِنِّي إذاً لَكَفُورُ

التخريج: صلة الصلة ق 3 ص53-54، والتكملة لكتاب الصلة (ط) 180/2، (خ) ورقة 110 ظ.

[35]

وقال أبو الحسن الرعيني : وأنشدني أبو بكر [ابن قسوم] شيخنا - وقرأت عليه - قال: أنشدني الفقيه أبو عمران الزاهد لنفسه: [من المتقارب]

1 - أُحَمِّلُ عَيْنَيَّ ما لا تُطِيقُ وأَشْكُو بِقِلَّةِ إِبْصَارِهَا
2 - وَأُتْعِبُهَا في دَقِيقِ الكِتَابِ كَأَنِّي عُنِيتُ بِإِضْرَارِهَا

التخريج: برنامج شيوخ الرعيني ص 94.

---

(1) في التكملة: "وأُنْشِدَ له
(2) التكملة (ط.خ): "لبيت مثلي".
(3) التكملة (ط.خ): "شكرا".
(4) التكملة (خ): "بعيش".
(5) التكملة (ط): "وإن"

[36]

وقال في الشيب الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله: [من الكامل]

1 - ذَهَبَ الشَّبابُ بجَهْلِهِ وَبعَارِهِ ... وَأَتَى المَشِيبُ بِحِلْمِهِ وَوَقَارِهِ
2 - شَتَّانَ بينَ مُبَعَّدٍ مِنْ رَبِّهِ ... بِغُرُورِهِ وَمُبَشَّرٍ بِجِوَارِهِ
3 - مازلتُ أمْرَحُ بالشَّبَابِ جَهالةً ... كَالطِّرْفِ يَمْرَحُ مُعْجَباً بِعِذَارِهِ
4 - وَسَحَبْتُ أثوابَ البَطَالَةِ لاَهِياً ... وجَرَرْتُ مِنْ بَطَرٍ فُضُولَ إِزَارِهِ
5 - حتَّى تَقَلَّصَ ظِلُّهُ فتَكَشَّفَتْ ... عَوْرَاتُهُ وَبَدَا قَبِيحُ عَوَارِهِ
6 - لمَ أحْظَ منهُ بطَائِلٍ غيرَ الأَسَى ... وتَنَدُّمٍ مِنِّي على أَوْزَارِهِ
7 - والآنَ قد خَطَّ المَشِيبُ بِمَفْرِقِي ... بمَوَاعِظٍ وَالحَقُّ في تَذْكَارِهِ
8 - والنَّفْسُ تَرْكَبُ غَيَّهَا لا تَرْعَوِي ... عَنْهُ ولا تُصْغِي إلى إِنْذَارِهِ
9 - لَهْفِي على عُمْرٍ يَمُرُّ مُضَيَّعاً ... مُحْصًى عليَّ بِلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ

التخريج: شرح مقامات الحريري 18/2.

[37]

وله رحمه الله وقد سمع منشدا يقول: [من الوافر]

1 - رَأَيْتُ الجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ ... وَمِلْءُ الكَفِّ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ
2 - وَنَزْرُ القُوتِ عَوْنٌ لِلْمُصَلِّي ... كَمَا الإكْثَارُ عَوْنٌ للسَّيَاتِ

فقال: [من الوافر]

1 - رَأَيْتُ الجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغيفٌ ... وَمِلْءُ الكَفِّ من مَاءٍ نَمِيرِ
2 - وَيُغْنِي البيتُ عن قَصْرٍ مَشِيدٍ ... وثوبُ[1] الصُّوفِ عن ثَوْبِ الحَرِيرِ
3 - إذَا أغْنَى قليلٌ عن كَثِيرٍ ... فَمَالِي والتَّوَسُّعُ في الأُمُورِ
4 - وَمَالِي والتَّكَاثُرُ من فُضُولٍ ... وَمَالِي والرُّكُونُ إلى الغُرُورِ

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 118، (ب) ورقة 4 أ – ب.

[38]

وله رحمه الله تعالى: [من البسيط]

1 - يَا[2] غَافِلاً عن صُرُوفِ الدَّهْرِ في سِنَةٍ[3] ... وَالدَّهْرُ يُوقِظُ بِالآيَاتِ وَالعِبَرِ
2 - كَمْ ذَا تَنَامُ وعَيْنُ الدَّهْرِ سَاهِرَةٌ ... لهُ حَوادِثُ في الغُدوَاتِ[4] وَالبُكَرِ
3 - لاَ تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَاحْذَرْ مِنْ تَقَلُّبِهِ ... شِيمَةُ الدَّهْرِ شَوْبُ[5] الصَّفْوِ بِالكَدَرِ
4 - وَارْغبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا سَوْفَ تَتْرُكُهُ ... فِعْلُ اللَّبِيبِ أَخَا[6] التَّحْقِيق وَالنَّظَرِ
5 - مَاذَا يَغُرُّكَ مِنْ دَارِ الفَنَاءِ وَمِنْ ... عُمْرٍ يَمُرُّ كَمِثْلِ اللَّمْحِ بِالبَصَرِ
6 - إعْمَلْ[7] لِدَارِ بَقَاءٍ لاَ فَنَاءَ بِهَا ... وَلاَ تَشَكِّي[8] مِنْ سُقْمٍ وَلاَ ضَرَرِ
7 - فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ فالسَّاعَاتُ فَانِيَةٌ ... وَالعُمْرُ مُنْتَقِصٌ[9] وَالمَوْتُ في الأَثَرِ

---

(1) روضة الأنوار (ب): "ويغني".
(2) مجموع شعري: "أيا".
(3) روضة الأنوار (أ - ب): "سننه".
(4) روضة الأنوار (ب): "بالغدوات".
(5) روضة الأنوار (ب): "ثوب".
(6) روضة الأنوار (أ): "اجنى"، وروضة الأنوار (ب) ومجموع شعري: "أخي".
(7) العلوم الفاخرة: "واعمل".
(8) روضة الأنوار (أ): " ولا تشكني".
(9) روضة الأنوار (أ - ب): "متنقص".

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 118، (ب) 4 أ، والعلوم الفاخرة ورقة 30 و، ومجموع شعري ص4-5.

[39]

قال ابن ليون التجيبي:

وكان القاضي أبو بكر بن العربي يوما بجامع العدبس[1] بإشبيلية مع أبي إسحاق إبراهيم بن حبيش،[2] إذ دخل فتى من أبناء الروم، وعليه طلاوة الحسن، وبيده شمعة، فقال القاضي ارتجالا[3]: [من السريع].

1 - وَشَمْعَةٍ تَحمِلُهَا[4] شَمْعَةٌ ... يَكَادُ يُطْفِي[7] نُورُهُ[8] نَارَهَا[9]

2 - لَوْلاَ نُهَى نَفْسٍ[5] نَهَتْ[6] غَيَّهَا ... لَقَبَّلْتُهُ وَأَتَتْ عَارَهَا

---

(1) ينسب إلى القاضي عمر بن عدبس الذي كان يتولى قضاء إشبيلية في أيام عبد الرحمان بن الحكم، وقد رمم هذا المسجد أيام أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يعقوب الموحدي بأمر من أبيه سنة 592هـ: انظر: المن بالإمامة ص 486.

(2) ترجمته في التكملة: 1/127 رقم 379.

(3) في نفح الطيب: "وكان [أبو بكر بن العربي] في أحد أيام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة، فإذا بغلام رومي وضئ قد جاء يخترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معتق، فقال: ..(البيتان)"، وفي أعلام مالقة أو أدباء مالقة: "قال: حدثنا الشيخ الزاهد أبو عمران، بحمص، قال: أنشدنا أبو إسحاق ابن حبيش، قال: كنت قاعدا مع القاضي أبي بكر بن العربي في يوم جمعة بعد خروج الإمام للصلاة، فإذا بفتى من أبناء الروم قد سلم وبيده شمعة وعقد، فلما رآه القاضي أبو بكر أنشد سريعا من قوله رحمه الله..."، وفي الوافي بالوفيات: "قيل إن بعضهم أنشد بحضرة أبي عمران هذا قول القاضي أبي بكر ابن العربي في غلام من أبناء الروم يحمل شمعة".

(4) الوافي: "يحملها".

(5) الوافي والنفح: "يخفي".

(6) النفح: "نورها".

(7) أعلام مالقة أو أدباء مالقة والوافي: "نورها".

(8) المصادر السابقة: "نفسي".

(9) نفسها: "نهى".

قال أبو عمران موسى بن عمران الميرتلي الزاهد: لو كنت أنا لقلت[1]: [من البسيط]

1 - لَوْلاَ الحَيَاءُ وخوفُ اللهِ يَمْنَعُنِي   وَأَنْ يُقالَ صَبَا مُوسَى عَلَى كِبَرِهْ
2 - إذاً لأَمْتعتُ نَفْسِي[2] مِنْ مَحَاسِنِهِ[3]   حَتَّى أُوَفِّي حَقَّ اللَّحْظِ[4] منْ نَظَرِهْ

وقال الرئيس أبو عثمان [سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي المَنُورْقِي] : لو كنت أنا لقلت مكان البيت الثاني من بَيْتَيْ القاضي : [من السريع]

1 - لَوْلاَ نُهَى نَفْسِي نُهًى طَاوَعَتْ   مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فيهِ أَمَّارَهَا

التخريج : لمح السحر من روح الشعر ص 337-338، وأدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص392، أو أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 362-363، والوافي بالوفيات 134/26ب وفكاهات الأسمار ومُذهبات الأخبار والأشعار ص 225، ونفح الطيب 27/2.

[40]

وله في كتمان السر : [من السريع]

1 - يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ   لَسْتُ لِمَا أَوْدَعْتَ بِالذَّاكِرِ
2 - نَسِيتُهُ لَمَّا تَنَاسَيْتُهُ   وَصُنْتُهُ مِنِّي عَنِ الخَاطِرِ

التخريج : أدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص 392 أو أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 363.

---

(1) في نفح الطيب: " ولما سمعها أبو عمران الزاهد قال: إنه لم يكن يفعل، ولكنه هزت أريحية الأدب، ولو كنت أنا لقلت: (البيتان)" وفي أعلام مالقة أو أدباء مالقة: "قال الشيخ أبو عمران: فلما أنشدني الحاج البيتين استَعْظَمْتُ ذلك في حقِّ القاضي أبي بكر، وحقِّ الموضع، وقلت: هَلاَّ اقتصَرَ على النظم، ثم استغفر، ولكن هزَّته لوْذَعِيةُ الأدب. لو كنت أنا لقلت: ثم أنشد بديهاً: ..."، وفي الوافي بالوفيات: "فقال أبو عمران هذا هذا لو كنت أنا لقلت: ...".
(2) في أعلام أو أدباء وفكاهات ونفح: "إذا لمتعت لحظي".
(3) في فكاهات ونفح: "في نواظره"، وفي الوافي: "من لواحظه".
(4) في أعلام أو أدباء: "لحظي الحق" وفيفكات ونفح: "جفوني الحق".

قافية الزاي

[41]

ثم قال: [من الكامل]

1 - في كيفَ أَنْتَ وكيفَ حَالُكَ غَيَّةٌ[1] إِثْرَ التَّحِيَّة حَالَةَ المُسْتَوْفِزِ
2 - وَاقْصِدْ إلى مَعْنَى الكلام تَقُولُهُ إِنْ كَانَ عِندكَ ما تقولُ فَأَوْجِزِ
3 - خَيْرُ الكَلاَمِ مُصِيبُهُ وَوَجِيزُهُ لاَ خَيْرَ في غَيْرِ الكلامِ المُوجَزِ

التخريج: مجموع شعري ص 73.

قافية السين

[42]

وأنشد الفقيه المذكور لنفسه في هذا المعنى: [من الكامل]

1 - مَنْ كَانَ مُنْتَفَعاً بِهِ وَبِعِلْمِهِ يَقِظاً وفي عَمَلٍ حَلِيفِ نَعَّاسِ
2 - فَمِثَالُهُ المِسْكِينُ عِندَ تَأَمُّلٍ وَتَثَبُّتٍ كَذُبَالَةِ النِّبْرَاسِ
3 - يَأْتِي عليها الاحتراقُ وَدَأْبُهَا أبداً تَزَايُدُ ضَوْئِهَا لِلنَّاسِ

التخريج: ألف باء (ط) 1/26، (خ) ورقة 9 ظ.

---

(1) في الأصل: "عنية".

قافية الشين

[43]

وله في مثله : [من السريع]

1 - فَاحْذَرِ[1] هَدَايَا النَّاسِ تَأْمَنْ [مِنَ][2] الـ ... ـمَنِّ بِهَا أَو قَوْلَ وَاشٍ يَشِي
2 - فَقَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ إلاَّ امرؤٌ ... من رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قد حُشِي
3 - الْتَبَسَ الأَمرُ فَلاَ تُقْدِمَنْ ... وَاخْشَ مَقَامَ اللهِ فِيمَنْ خَشِي
4 - كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشاً ... وفي الرِّشَا الهُلْكُ لِمَنْ يَرْتَشِي
5 - حَذَّرَنَا مِنْهَا نَبِيُّ الهُدَى ... إِذْ لَعَنَ الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي

التخريج : شرح مقامات الحريري 63/1.

قافية الصاد

[44]

وله عفا الله عَنَّا وعَنْهُ : [من الوافر]

1 - إِذَا مَا ازْدَدْتُ يَوْماً زِدْتُ نَقْصاً ... فَعُمْرِي كُلَّ يَومٍ في انْتِقَاصِ
2 - وَحَادِي الموتِ يَحْدُونِي إِلَيْهِ ... وَلَيْسَ عَنِ المَنِيَّةِ مِنْ مَنَاصِ
3 - وَأَغْفُلُ لا أُعِدُّ لِيَومِ فَقْرِي[3] ... كَأَنِّي قد أَمِنْتُ مِنَ القِصَاصِ
4 - وَأَطْمَعُ في الخَلاَصِ بغيرِ زَادٍ ... وَمَنْ لي[4] وَيْحَ نَفسِي بالخَلاَصِ
5 - وَإِنَّ أَمامَنَا يَوماً عَصِيباً ... وَمُطَّلَعاً تَشِيبُ له النَّوَاصِ

التخريج : العلوم الفاخرة ورقة 31 ظ، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 134، (ب) ورقة 7أ، ومجموع شعري ص10.

---

(1) شرح مقامات الحريري : "احذر".
(2) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق.
(3) العلوم الفاخرة : "فقدي".
(4) بعدها في روضة الأنوار (أ) : "يا".

قافية الضاد

[45]

ثم قال : [من البسيط]

1 - يَا رَبِّ عَوْناً على ألاَّ أَرَى أَحداً ... وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ وَقْتَ مُفْتَرَضِ
2 - أَقُومُ عنْهُ وَلاَ أَلْوِي على أَحدٍ ... إِلَى بَيْتِي نُفُوذَ السَّهْمِ لِلْغَرَضِ
3 - وَمَنْ تَعَرَّضَ لي أَعْرَضْتُ عَنْهُ فَلِي ... شُغْلٌ بِنَفْسِي عَمَّا عَنَّ مِنْ عَرَضِ

التخريج : مجموع شعري ص 72.

[46]

وقوله : [من السريع]

1 - يَا رَاغِباً فِي أن يُرَى شَاهِداً ... وَحُكْمُهُ بَيْنَ الوَرَى مَاضِي
2 - إِيَّاكَ فَالعِزُّ خِلاَفٌ لَهَا ... أَوَّلُ مَا تَخْضَعُ للقَاضِي
3 - مُعَرِّضاً وَجْهَكَ فِي كُلِّ ما ... يَومٍ لإِقْبَالِ وَإِعْرَاضِ
4 - كُنْ مُسْتَرِيحاً فِي الوَرَى سَارِحاً ... بِكُلِّ عَيْشٍ نِلْتَهُ رَاضِي
5 - مُنْفَرِداً لا تُفَكِّرَنْ بالذي ... يَأْتِي وَلاَ تَبْكِ على مَاضِي

التخريج : الغصون اليانعة ص 136.

قافية العين

[47]

وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران : [من السريع]

1 - يَا صَاحِ فِي المَوتِ لَنَا حِكْمَةٌ ... بَالِغَةٌ لَوْ أَنَّنَا نَنْتَفِعْ
2 - فَاعْمَلْ لهُ قَبْلَ مُفَاجَاتِه ... وَيَحْصِدُ الزَّارِعُ ما قد زَرَعْ
3 - لاَ حِيلَةٌ تُنْجِيكَ منهُ وَلاَ ... ذُو وَزَرٍ عَنْهُ بِهِ يَمْتَنِعْ
4 - كَمْ أُمَمٍ أَفْنَاهُمُ قَبْلَنَا ... وَشَمْلِ قَومٍ شَتَّهُ فَانْصَدَعْ

التخريج : شرح مقامات الحريري 60/1.

[48]

وقال ابن عمران : [من السريع]

1 - أُفٌّ لِدُنْيَا قد شُغِفْنَا بِهَا ... جَهْلاً وَعَقْلٍ لِلْهَوَى مُتَّبَعْ
2 - فَتَّانَةٌ تَخْدَعُ طُلاَّبَهَا ... فَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَنْخَدِعْ
3 - أَضْغَاثُ أَحْلامٍ إذَا حُصِّلَتْ ... أَوْ كَوَمِيضِ البَرْقِ منهَا لَمَعْ

التخريج : شرح مقامات الحريري 100/3.

[49]

قال الشريشي: ومثله[1] في ذلك قول الزاهد ابن عمران، وكثيرا ما كان يستمد في شعره من أدب المقامات: [من الكامل]

1 - تَبّاً لِذِي جَهْلٍ دَعَا لِمَبَرَّةٍ وَأَجَبْتُهُ بَراً بِهِ فَأَذَاعَهَا
2 - مَنّاً وقد كَافَأْتُهُ بِهِبَاتِهِ وَذَخَرْتُهَا عِنْدِي لهُ فَأَضَاعَهَا
3 - فَاقْلِ اللِّئَامَ من الرِّجَالِ ولا تُجِبْ
مَهْمَا دَعَوْكَ وَجَنِّبَنْ أَوْضَاعَهَا

التخريج: شرح مقامات الحريري 66/1.

[50]

وله أيضا: [من المنسرح]

1 - شَكَرْتُ لِلدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا طَرِيدَ مجد تَحِيَّتِي رَفَعَا
2 - يَا حُسْنَ حَمَّامِنَا وقد غَرُبَتْ شَمْسُ الضُّحَى فيهِ بَعدَمَا مَتَعَا
3 - أَيْقَنَ أَنَّ الهِلاَلَ رَاكِبُهُ فَضَاءَ لِلْحَاضِرِينَ وَاتَّسَعَا
4 - فَانْعَمْ أَبَا عَامِرٍ بِنِعْمَتِهِ وَاعْجَبْ لأَمْرَيْنِ فيهِ قد جُمِعَا
5 - نِيرَانُهُ من زِنَادِكُمْ قُدِحَتْ وَمَاؤُهُ من بَنَانِكُمْ نَبَعَا

التخريج: شرح مقامات الحريري 177/1-178.

---

(1) أي في ذم الدنيا.

[51]

وله رضي الله تعالى عنا وعنه : [من الطويل]

1 - نُغَرُّ بِدُنْيَانَا ونُخدعُ بِالمُنَى ... ونَلْهُو كَمَا يَلْهُو الوَلِيدُ وَنَرْتَعُ[1]
2 - وآخِرُ هذا كُلِّهِ المَوتُ والَّذي ... نُعَاينُ بعدَ المَوتِ أَدْهَى وَأَفْظَعُ
3 - فَيَا لَيْتَ أَنَّا قد تُرِكْنَا ولم نَكُنْ ... نُعَايِنُ بعد المَوتِ مَا يُتَوَقَّعُ

التخريج : العلوم الفاخرة ورقة 31 و، روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 133 ، (ب) ورقة 6 ب - 7 أ، ومجموع شعري ص 9.

[52]

وله : [من الطويل]

1 - هُوَ المَوتُ آتٍ لَيسَ لِلْمَوتِ مَدْفَعُ ... وَلاَ شَيْءَ منهُ لاَ أَبَالَكَ يَمْنَعُ
2 - فَكُنْ آخِذاً[2] بِالجِدِّ وَالحَزمِ[3] أُهْبَةً ... لَهُ وَلِمَا مِنْ بَعْدِهِ يُتَوقَّعُ
3 - وَقَدِّمْ منَ الدُّنْيَا لِنفسِكَ عُدَّةً ... لِغَيرِكَ ما تَبْنِيهِ فيها وَتَجْمَع
4 - فَلَوْ جِئْتَ تَبغِي الوَارِثِينَ قُلاَمَةً ... من المَالِ لاَ بَلْ[4] دُونَهَا كُنْتُ تُمْنَعُ

التخريج : العلوم الفاخرة 31 و - ظ، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 133 ، ومجموع شعري ص 9-10.

---

(1) مجموع شعري : "ويرتع".
(2) روضة الأنوار : " أخذ".
(3) العلوم الفاخرة : " والعزم".
(4) نفسه : "لأجل".

[53]

قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿**ونهى النفس عن الهوى**﴾: وقال عمران الميرتلي: [من الطويل]

1 - فَخَالِفْ هَوَاهَا وَاعْصِهَا إِنَّ مَنْ يُطِعْ
هَـوَى نَفْسِهِ تَنْزَعْ به كُلَّ مَـنْـزَعِ

2 - وَمَنْ يُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَةَ تُرْدِهِ
وَتَـرْمِ بـه فـي مَصْـرَعٍ أَيَّ مَصْـرَعِ

التخريج: البحر المحيط في التفسير 402/10، وروح المعاني 310/8.

[54]

وله رضي الله تعالى عنا وعنه: [من البسيط]

1 - عَجِبْتُ للمرءِ والآمالُ تُطْمِعُهُ
وَكُلُّ مَا هُوَ فيهِ المَوتُ يَقْطَعُهُ

2 - فِي كُلِّ يـومٍ يُنَـاديهِ وَيُسْمِعُهُ
مِنهُ[1] المنادَى به لو كَانَ يَسْمَعُهُ

3 - لَئِـنْ تَصَـامَمَ عنه دُونَ مَا صَمَمٍ
عَمَّا قَلِيـلٌ يُـوَافِيـهِ فَيَصْـرَعُـهُ

4 - وَليسَ يُنْجِيه أَهلٌ لاَ[2] ولا وَلَـدٌ
منهُ ولا كُلُّ ما[3] قد كان يَجْمَعُهُ[4]

5 - فَخُذْ له عُـدَّةً ما دُمْتَ في مَهَـلٍ
ولا تَكُنْ[5] مِمَّنِ الآمـالُ تَخْدَعُـهُ

التخريج: العلوم الفاخرة ورقة 31 ظ، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار(أ) ص 134، (ب) 31 ظ، ومجموع شعري ص 10.

---

(1) نفسه: "من".
(2) سقطت لقطة "لا" من روضة الأنوار (ب).
(3) العلوم الفاخرة: "ولاما".
(4) روضة الأنوار (أ): "تجمعه".
(5) العلوم الفاخرة ومجموع شعري: "و لاتك".

[55]

وله عفا الله تعالى عنا وعنه: [من البسيط]

1 - يَا غَافِلاً والمَنَايَا غيرُ غَافِلَةٍ   عنهُ رُوَيْدَكَ في ذَا وَيْكَ مَا يَزَعُ
2 - عَليكَ نفسَكَ فَاجْهَدْ[1] في تَخَلُّصِهَا   مَا دُمْتَ حَيًّا وفي الأيام مُتَّسَع
3 - وَعَلِّ[2] يَوْمَكَ هَذَا لَسْتَ تُكْمِلُهُ   لا تَذهبنَّ بكَ الأَطماعُ[3] والخُدَعُ
4 - في كُلِّ[4] مَا نَفْسٍ[5] تَخْشَى بَوَادِرَهَا   فَاحْذَرْ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى تَقَعُ

التخريج: العلوم الفاخرة ورقة 31 و، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص133، (ب) ورقة 6 ب، ومجموع شعري ص9.

[56]

وله أيضا: [من مجزوء البسيط]

1 - دَارِ مَنْ لاَ تُطِيقُ[6] تَدْفَعُهُ   عَسَى المَدَارَاتُ منكَ تَدْفَعُهُ
2 - وَاضْرَعْ إلى اللهِ إنْ بُلِيتَ   عَسَاهُ يَكْفِيكَهُ وَيَرْفَعُهُ

التخريج: شعر أبي عمران الميرتلي ص 74.

---

(1) مجموع شعري: "فاجهدن".
(2) العلوم الفاخرة: "وعد".
(3) العلوم الفاخرة: "الأوضاع".
(4) سقطت "ما" من روضة الأنوار (أ).
(5) سقطت "نفس" من العلوم الفاخرة.
(6) في الأصل: "لا تضيق".

[57]

وله [رحمه الله تعالى]: [من المتقارب]

1 - وَهَذِي[1] الصَّلاَةُ فَأَيْنَ الخُشُوعُ ... وأينَ البُكَاءُ وَسَكْبُ الدُّموع
2 - وأينَ التَّبَاكِي إذا لم يَكُنْ ... بُكاءٌ بِوَجْدٍ ودَمْعٍ هَمُوعِ[2]
3 - وأَينَ التَّضَرُّعُ أينَ النَّحِيبُ ... وَحَالُ السُّجُودِ وَحَالُ الرُّكُوعِ
4 - وأينَ التَّنَدُّمُ أَيْنَ الدُّعَا ... بِقَلْبٍ كَئِيبٍ حَلِيفِ الخُضُوعِ
5 - يُثِيرُ التَّنَدُّمُ والخَوفُ منهُ ... زَفِيراً يُقِيمُ حَنِيَّ الضُّلُوعِ
6 - وَأَيْنَ التَّدَبُّرُ لِلذِّكْرِ يُتْلَى ... بِإِحْضَارِ فَهْمٍ وَسَمْعٍ سَمِيعِ
7 - تُنَاجِي إِلاَهَكَ وَالقَلْبُ لاَهٍ ... عَنِ الذِّكْرِ سَاهٍ لَبِئْسَ الضَّيِّعِ

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 133، (ب) ورقة 6 ب.

---

(1) روضة الأنوار (أ): "هذي".
(2) سقط البيت الثاني من روضة الأنوار (ب).

قافية الفاء

[58]

.... وقال غيره : "شر العلوم الفلسفة"، ولذلك يقول الفقيه الزاهد أبو عمران موسى ابن عمران القيسي المعروف بالميرتلي رضي الله عنه : [من مجزوء الكامل]

1 - شَرُّ العُلُومِ إذَا اعْتَبَرْ ... تَ أُخَيَّ[1] عِلْمُ الفَلْسَفَهْ
2 - لاَ تَعْمَلَنَّ[2] بِهَا لِسَا ... نًا مَا حَيِيتَ وَلاَ شَفَهْ
3 - لاَ خَيْرَ فِيمَا الفَلْ[3] أَوَّ ... لُهُ وَآخِرُهُ سَفَهْ

التخريج : ألف باء (ط) 23/1، (خ) ورقة 8 ظ.

[59]

وللزاهد ابن عمران في معنى أبيات الحريري[4] رحمه الله : [من الوافر]

1 - إذَا وَغْدٌ جَفَاكَ فلا تَلُمْهُ ... لأَنَّكَ إنْ فَعَلْتَ أَثَرْتَ جِيفَهْ
2 - وَإنْ يَصُلِ الكَرِيمُ عَلَيكَ فَاصْفَحْ ... سَتَعْطِفُهُ أَصَالَتُهُ الشَّرِيفَهْ[5]
3 - وَمَنْ يَكُ بينَ ذَاكَ فَأَغْضِ عَنْهُ ... تَنَلْ مَجْداً وَمرتَبَةً مُنِيفَهْ
4 - وَسُلَّ الضَّغْنَ إنْ آنَسْتَ ضِغْناً ... بِبَسْطِ الوَجْهِ وَالحِيَلُ اللَّطِيفَهْ

التخريج : شرح مقامات الحريري 160/3.

---

(1) في ألف باء (خ) : "يا أخي".
(2) نفسه : "لا تشغلن".
(3) نفسه (خ) : "النحل".
(4) وأولها :

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإساءة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط

انظر : شرح مقامات الحريري 158/3.
(5) أخذ البيتين الأولين من قول حاتم الطائي :

وأغفِرُ عوراءَ الكريم ادِّخارَهُ ... وأُعرِضُ عن شتم اللئيم تكرُّمَا

انظر : ديوانه ص 108.

[60]

وله أيضا : [من الوافر]

1 - كَفَى ِبسَلِيخَةٍ في البيتِ مِرْطَا مُعَـدّاً لِلشِّتَـاءِ وَلِلْمَصِيفِ
2 - يَكونُ وِطَاءَ جِلْدٍ في مَصِيفٍ وَفِي زَمَنِ الشِّتَاءِ وِطَاءَ صُوفِ

التخريج : ألف باء (ط) 452/1، (خ) ورقة 143 ظ.

[61]

فمنه قوله : [من الطويل]

1 - قَنَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا ِبقُوتٍ مُبَلِّغٍ فَلَستُ أُبالِي مَا أُخَلِّفُ[1] مِنْ خَلْفِي
2 - إذا كنتُ لا أدري أأُمْهَلُ ساعةً كَفَانِي مَا يَكْفِي وَدُونَ الَّذِي يَكْفِي

التخريج : الذخيرة السنية ص 41 والإفادات والإنشادات ص 4، 29.

قافية القاف

[62]

وله أيضا : [من البسيط]

1 - كَانَ الأَوَائِلُ كَالأَزهارِ يَانِعَةً لاَ شَوْكَ فيهِ سَلِيمَاتٌ مِنَ الرَّنَقِ
2 - فَعَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ شَوْكٌ لَهُ وَرَقُ وَعَالَمُ اليَوْمِ شَوْكٌ دُونَ مَا وَرَقِ
3 - يُبْدُونَ رَدّاً صَرِيحاً كُلُّهُ مَلَقُ وَيَنظُرُونَ على الأَحْنَاءِ وَالحَنَقِ
4 - تَفَرَّقُوا فِرَقاً في كُلِّ مُشْتَبَهٍ مِنَ الأُمورِ وَخَلُّوا أَوْضَحَ الطُّرُقِ
5 - فَشُدَّ كَفّاً على السُّنِّي إِنْ ظَفِرَتْ بِـهِ يَدَاكَ وَجَنِّبْ سَائِرَ الفِرَقِ
6 - وَقُلْ إِذَا أَبْصَرَتْ عَينَاكَ مِنْ أَحدٍ أَعـوذُ ِباللهِ رَبِّ النَّاسِ وَالفَلَقِ[2]
7 - مِنْ شَرِّهِ وَشِرَارِ النَّاسِ كُلِّهِمُ يَا ذَا الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ

التخريج : مجموع شعري ص 74.

---

(1) الإفادات : "أخلفه".

(2) يشير إلى المعوذتين.

[63]

وله أيضا : [من السريع]

1 - مَا الزُّهْدُ يَا قَوْمِ فَلاَ تَجْهَلُوا بِلُبْسِ أَسْمَالٍ وَأَخْلاَقِ
2 - لَكِنَّهُ لُبْسُ ثِيَابِ التُّقَى فِي[1] حُسْنِ آدَابٍ وَأَخْلاَقِ

التخريج : شرح مقامات الحريري : 3/ 19، وألف باء (ط) 1/452، (خ) ورقة 143 ظ، وفكاهات الأسمار ص 109.

قافية الكاف

[64]

ولأبي عمران الميرتلي : [من الكامل]

1 - لاَ تَقْبَلَنَّ هديةً وَلَوَ[2] أَنَّهَا جَاءَتْكَ مِنْ أَصْفَى الأَنَام إِلَيْكَا
2 - فَتَذِلَّ نَفْسُكَ إِنْ فَعَلتَ وَرُبَّمَا أَنْـ قَلَبَ الصَّدِيقُ غَداً فَمَنَّ عَلَيْكَا

التخريج : ألف باء (ط) 1/155، (خ) ورقة 51 و.

قافية اللام

[65]

وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى : [من المتقارب]

1 - قَنَعْتُ فَنِلْتُ الغِنَى وَادِعاً وَعِشْتُ هَنِيئاً بِسَتْرِ الخُمُولْ
2 - وَنِلْتُ الَّذِي نَالَ منها المُلوكُ فَلِمَ يَفْضُلُونِي بِغَيْرِ الفُضُولْ
3 - وَذَاكَ الفُضُولُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ يَكُونُ عليهِ الحِسَابُ الطَّوِيلْ[3]

التخريج : ألف باء (ط) 1/452، (خ) ورقة 143 ظ.

---

(1) ألف باء (ط - خ) : "مع".
(2) في (خ) : "لو".
(3) في (خ) : "يكون عليهم حساب يطول".

[66]

قال أبو بكر القَلَلُوسِي : وعلى هذا ينبغي أن يخطأ أبو عمران المرتلي في قوله : [من المتقارب]

1 - هَنِيئاً لِحِمْصَ[1] لقد أَنْجَبَتْهُ   وَلِيداً وشَاباً وَحِينَ اكْتَهَلْ

التخريج : الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض (أ) ورقة 56 ظ، (ب) ص 103 ، (ج) ورقة 133 و (الاسكوريال).

[67]

وله : [من الطويل]

1 - إلاَهِي لَكَ الحَمدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ   عَلَى نِعَمٍ مَا كُنتُ قَطُّ لَهَا أَهْلاَ
2 - مَتى زِدتُ تَقْصِيراً تَزِدْنِي تَفَضُّلاَ   كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الفَضْلاَ
3 - فَتَنكِرُ مَا أَوْلَيْتَنِي[2] مِنْ تَفَضُّلٍ   وَغُفْرٍ لِتَقْصِيرٍ[3] أَتَيْتُ بِهِ جَهْلاَ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص134 ، (ب) ورقة 7 أ.

[68]

وأنشد الزاهد ابن عمران قول الشاعر : [من الخفيف]

1 - لَمْ أَقُلْ لِلشَّبَابِ فِي كَنَفِ اللَّـ   ـهِ وَلاَ حِفْظِهِ غَدَاةَ اسْتَقَلاَّ

فزاد بعد استقلا :

1 - لاَ وَلاَ لِلْمَشِيبِ[4] لَمَّا بَدَا لِي   مَرْحَباً بِالمَشِيبِ أَهْلاً وَسَهْلاَ
2 - مُوذِنٌ بِالحِمَامِ هَذَا وَذَاكُمْ   سَوَّدَ الصُّحْفَ بِالذُّنُوبِ وَوَلَّى

التخريج : شرح مقامات الحريري : 355/5.

---

(1) إشبيلية.
(2) روضة الأنوار (أ) : "فيتنكر الماوليتني".
(3) نفسه (أ)، (ب) : "التقصير".
(4) في الأصل : "للمشبب".

[69]

قال ابن الأبار: وأنشدني أبو سليمان ابن حوط الله، قال: أنشدني أبو عمران هذا لنفسه من أبيات[1]: [من المتقارب]

1 - إِلَى كَمْ أَقُولُ وَلاَ[2] أَفْعَلُ وَكَمْ ذَا أَحُومُ وَلاَ أَنْزِلُ
2 - وَأَزْجُرُ نَفْسِي[3] فَلاَ تَرْعَوِي وَأَنْصَحُ نَفْسِي فَلاَ تَقْبَلُ
3 - وَكَمْ ذَا[4] تُعَلِّلُ لِي[5] وَيْحَهَا[6] بِعَلَّ وَسَوْفَ وَكَمْ تَمْطُلُ
4 - وَكَمْ ذَا أُؤَمِّلُ[7] طُولَ البَقَا وَأَغْفُلُ وَالمَوْتُ لاَ يَغْفُلُ
5 - وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي بِنَا مُنَادِي الرَّحِيلِ أَلاَ فَارْحَلُوا[8]
6 - أَمِنْ بَعْدِ[9] سَبْعِينَ أَرْجُو البَقَا وَسَبْعٍ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعْجَلُ
7 - كَأَنْ بِي[10] وَشِيكاً إِلَى مَصْرَعِي يُسَارُ بِنَعْشِي وَلاَ أُمْهَلُ
8 - فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِلَى مَ[11] المَصِيرُ[12] وَمَاذَا أُجِيبُ إِذَا أُسْأَلُ
9 - وَيَا لَيْتَ[13] شِعْرِي بَعْدَ السُّؤَالِ وَطُولِ المُقَامِ[14] لِمَا أُنْقَلُ

(1) في نفح الطيب: " ثم قال صاحب "الملتمس": وتذاكرنا يوما معه (أي ابن جبير) حالة الزاهد أبي عمران المارتلي، فقال: صحبته مدة فما رأيت مثله، وأنشدني (شعرا) ما (نسيته) ولا (أنساه) ما استطعت، (وهو) قوله...."
(2) نفح: "فلا".
(3) المغرب والغصون اليانعة ونفح: "عيني".
(4) سقطت "ذا" من روضة الأنوار (أ).
(5) روضة الأنوار (ب): "تعللني".
(6) روضة الأنوار (أ): "ويحما".
(7) روضة الأنوار (أ): "أمل".
(8) المغرب: "فانزلوا".
(9) التكملة: "عيش".
(10) روضة الأنوار (ب): "كأني".
(11) روضة الأنوار (أ) "بنفسي"، (ام)، العلوم الفاخرة: "ما".
(12) روضة الأنوار: "أصير".
(13) روضة الأنوار: (أ)، (ب)، والعلوم الفاخرة ومجموع شعري: "يَالَيْتَ"، والتكملة (ط): "فَيَالَيْتَ".
(14) التكملة وروضة (أ - ب) والعلوم ومجموع شعري: "الحساب".

10 - وَيَا عَجَباً عند ذِكْرِي لِذَا[1] وَعِلْمِي بِهِ[2] كَيفَ لاَ أَذْهَلُ
11 - كَأَنَّ المُرَادَ بِنَا غَيْرُنَا أَوَ أَنَّا نُوَامٌ[3] فَلاَ نَعْقِلُ
12 - وَلَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ بِالَّذِي عَلِمْنَاهُ لم يَهْنِهَا مَأْكَلُ
13 - وَلَمْ نَكُ نَأْكُلُ مِنْهَا إذاً سَمِيناً وَلَكِنَّهَا تَجْهَلُ[4]
14 - بِحَقٍّ أَقُولُ إِخَالُ القُلُوبَ رِينَ[5] عَلَيْهَا فَلاَ تَقْبَلُ
15 - فَنَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ حَالِنَا وَنَسْأَلُه تَوْبَةً تُقْبَلُ[6]

التخريج الأبيات [1-15] في روضة الأنوار ونزهة الأخبار ورقة (أ) ص 130-131، (ب) 5 ب - 6 أ والعلوم الفاخرة ورقة 30 ظ، ومجموع شعري ص 6-7 والأبيات [1-2-4-7-8-9-10] في التكملة لكتاب الصلة (ط) 180/2، (خ) ورقة 110ظ. والأبيات [1-2-3-4-5-6-7-9] تحفة القادم ص 132-133، والمغرب في حلى المغرب 406/1-407، ونفح الطيب 296/3، والغصون اليانعة 136-137. والأبيات [1-2-4] في الوافي بالوفيات 134/26 ب.

[70]

وله رحمه الله : [من الطويل]

1 - وَمَن ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِماً وَلِلنَّاسِ قَالٌ بِالظُّنُونِ وَقِيلُ
2 - فَمَنْ رَامَ هَذَا رَامَ مَا لَيسَ مُمْكِناً وَحَاوَلَ أَمْراً مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
3 - فَأَغْضِ عَنِ العَوْرَاءِ وَاْصْفَحْ عَنِ الخَنَا وَقَدِّمْ لأُخْرَى فَالثَّوَابُ جَزِيلُ
4 - وَدَارِهُمُ مَا كُنْتَ فِيهِمْ وَأَوْلِهِمْ جَمِيلاً وَبِرّاً فَالثَّوَاءُ قَلِيلُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 131، (ب) ورقة 6 أ.

---

(1) التكملة : "بذاك".
(2) التكملة : "لهذا" وروضة (أ) : "لها".
(2) التكملة : "بذاك".
(3) روضة (أ) : "أم أنا هوام"، وروضة (ب) : "ونحن سوام" والعلوم : "أو أنا سوام".
(4) روضة الأنوار (ب) : "تهزل".
(5) العلوم الفاخرة : "أرين".
(6) سقط البيت الأخير من روضة الأنوار (ب).

[71]

وله أيضا : [من الطويل]

1 - رَضِيتُ لِنَفسِي بالخُمولِ وَلَمْ أَجِدْ   دَوَاءً لإِدْوَاءِ النُّفُوسِ يُعَادِلُهْ
2 - رَأَيْتُ خُمُولَ المَرْءِ يُحْرِزُ دِينَهُ   وَيَرْفَعُ عَنْهُ الكِبْرَ وَالكِبْرُ قَاتِلُهْ

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص74.

[72]

وله : [من البسيط]

1 - يَا نَفْسِ جِدِّي فَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا   وَاسْتَشْعِرِي التَّوبَ(1) لاَ يُزْرِي بِكِ الأَمَلُ
2 - وَلاَ تُطِيعِي(2) الأَمَانِي فَهْيَ كَاذِبَةٌ   كَمْ(3) حَالَ دُونَ الأَمَانِي وَيْحَكِ الأَجَلُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 131، (ب) 6 أ، والعلوم الفاخرة ورقة 30 ظ، ومجموع شعري ص 7.

[73]

قال البلوي :

ورأيتها(4) لأبي عمران موسى الميرتلي الزاهد رضي الله عنه مجموعة في بيت، وقد زاد عليها ثِنْتَيْنِ، فصارت سِتّاً، فقال : [من البسيط].

1 - سِتٌّ بُلِيتُ بِهَا وَالمُسْتَعَاذُ بِهِ   مِنْ شَرِّهَا مَنْ إِلَيْهِ الخَلْقُ تَبْتَهِلُ
2 - نَفْسِي وَإِبْلِيسُ والدُّنيَا الَّتي فُتِنَتْ(5)
مِنْ قَبْلِنَا وَالهَوَى وَالحِرْصُ وَالأَمَلُ
3 - إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ يَا مَولايَ وَاقِيَةٌ   مِنْ شَرِّهَا فَقَدَ أَعْيَتْ عَبْدَكَ الحِيَلُ

التخريج : ألف باء (ط) 26/1، (خ) ورقة 9 و.

---

(1) روضة الأنوار (أ) : "واستشعر التوبة".
(2) العلوم الفاخرة : "ولا تطع".
(3) روضة الأنوار (أ) : "كما".
(4) [وذلك أن المرء في الدنيا مبتلى بأربعة أشياء، وهي : الدنيا والشيطان والنفس والهوى].
(5) في ألف باء (خ) : "فنيت".

[74]

وله عفا الله تعالى عنا وعنه: [من البسيط]

1 - يَا مَنْ إليهِ جَمِيعُ الخَلْقِ يَبْتَهِلُ ... فيكَ الرَّجَاءُ وَمِنْكَ الخَوْفُ وَالوَجَلُ
2 - حَقِّقْ رَجَائِي وَأَمِّنْ مَا أَخَافُ غَداً ... بِحيثُ لاَ قُـوَّةٌ تُنْجِي وَلاَ حِيَلُ
3 - وَمَنْ بِالعَفْوِ يا مَولايَ مِنكَ[1] وَإِنْ ... جَلَّتْ ذُنُوبِي وَسَاءَ القَولُ وَالعَمَلُ

التخريج: العلوم الفاخرة ورقة 30 و- ظ، ومجموع شعري ص 6.

[75]

ورأى نفسه ممتدا بين يدي الحكاك، فقال: [من المتقارب]

1 - أَأَغْتَـرُّ إنْ مُـدَّ في العُمْرِ لِي ... وَأُرْجِي الـمَتَـابَ إِلَـى قَابِلِ
2 - وَأَغْفُـلُ والـموتُ لِي طَالِبٌ ... حَثِيثٌ كَذِئْـبِ الغَضَا القَاتِـلِ
3 - كَأَنِّـي ِبـي هَـكَـذَا مَـيِّـتـاً ... تَحَـكَّـمُ فِيَّ يَـدُ الـغَـاسِـلِ

التخريج: شرح مقامات الحريري 177/1.

[76]

ولأبي عمران المذكور: [من مجزوء الرمل]

1 - اِقْبَـلِ البِـرَّ إِذَا احْتَجْـ ... ـتَ مِنَ البِـرِّ الوُصُولْ
2 - مَا أَرَى أَنَّ لَكَ الفَضْـ ... ـلَ عليهِ فـي القَبُـولْ
3 - وَأَتَـى ِبالشَّـيءِ صَفْـواً ... طَـيِّـباً مِنْ غَيْرِ سُـولْ
4 - وَأَمِـنْـتَ الـمَنَّ مِنْـهُ ... فـي كَـثيرٍ أَوْ قَلِيـلْ
5 - رُبَّ مَنٍّ قَدْ أَقَامَ الـ ... ـحُرَّ في حَالِ الذَّلِيـلْ
6 - وَإِذَا اَسْتَغْنَيْتَ عَـنْـهُ ... لاَ تَـعَـرَّضْ لِلْفُـضُـولْ
7 - وَصُنِ النَّفْسَ ِبسَفٍّ الـ ... ـتّربِ عَن عُرْفِ البَخِيلْ

التخريج: ألف باء (ط) 154/1، (خ) 50 ظ.

---

(1) مجموع شعري: "منك يا مولاي".

[77]

وله رحمه الله: [من الوافر]

1 - أَرَى الأَعْمارَ تَذهبُ في الفُضُولِ وَفي قَالٍ تُصَرِّفُهُ وَقِيلِ
2 - وَلاَ أُخْرَى تَمُرُّ لَنَا بِبَالٍ لقد جُزْنَا أُخَيَّ عَنِ السَّبِيلِ

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 131، (ب) ورقة 6 أ.

[78]

قال ابن رشيد: وأخبرني صاحبنا أبو محمد ابن مبارك عن شيخنا أبي محمد ابن هارون أنه كان يختار في عجز البيت الثاني من بيتي أبي عمران الزاهد رحمه الله قوله: [من البسيط].

1 - أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا لَمْ أُهُمَّ بِهِ[1] وَلاَ جَرى لي على ذِكْرٍ وَلاَ بَالِ[2]
2 - إِلاَّ مَقالةَ لَغْوٍ مَا أَرَدْتُ بها إلاَّ التَّطَرُّفَ[3] لاَ وَصفاً[4] لأَحْوَالِي

التخريج: أدباء مالقة (تحقيق د.صلاح جرار) ص 392. أو أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 363، وملء العيبة 407/2.

(1) أعلام مالقة أو أدباء مالقة: "أستغفر ربي ما هممت به".
(2) في الحاشية تعليق نصه: "يروي الشطر الثاني بلفظ: "إلا التظرف لا ما هاج بلبالي". وفي أعلام أو أدباء مالقة: ولا جرى منه لي ذكر على بالي".
(3) نفسه: "التظرف".
(4) نفسه: "وصف".

[79]

ومن شعر الفقيه الإمام الزاهد الورع أبي عمران موسى بن عمران القيسي الميرتلي رضي الله عنه : [من مخلع البسيط]

1 - تُرْجَى السَّلاَمَةُ في القَنَاعَـ ـةِ وَالخُمُولِ وَالاعْتِزَالِ
2 - لاَ فِي التَّكَاثُرِ وَالظُّهُورِ وَفي مُصَاحَبَةِ الرِّجَالِ
3 - مَنْ رَامَ مَعْ هَذِي الثَّلاَثِ سَلاَمَةً رَامَ المُحَالِ

التخريج : ألف باء (ط) 153/1، (خ) ورقة 50، وترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من أخبار الأندلس ص 8.

[80]

قال الشريشي: وشعر المقامة مزدوج القوافي، وعارضه الزاهد ابن عمران فقال: [من السريع]

1 - مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَعِلْمِي بِهَا غَرَّارَةٌ خَدَّاعَةٌ مَالِي
2 - تَغُرُّنِي حَتَّى إِذَا مُكِّنَتْ تَعْبَثُ في نَفْسِيَ وَفِي مَالِي
3 - هِمْتُ بِهَا حُبّاً فَقَدْ أَفْسَدَتْ مَا كَانَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِي
4 - أَعْمَى الهَوَى قَلْبِي وَحُبِّي لَهَا رَأْسُ خَطَايَايَ وَأَعْمَالِي
5 - تَبْكِي على الفَائِتِ مِن حَظِّهَا عَيْنِي بِتَسْكَابٍ وَأَهْمَالِي
6 - يَارَبِّ زَهِّدْنِي فِي حُبِّهَا وَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِإِهْمَالِي

التخريج: شرح مقامات الحريري 18/3-19.

قافية الميم

[81]

وله : [من المتقارب]

1 - أَلَمَّ المَشِيبُ وَبَانَ الشَّبَابُ ... وَلَمْ أَحْظَ منهُ بغيرِ النَّدَمْ

2 - وَليسَ المَشِيب بشيء[1] يَدُومُ ... وَهَلْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ أَلَمْ

3 - وَقَدْ آذَنَتْنِي[2] بِوَشْكِ[3] الرَّحِيلِ ... وَإنَّ قُصَارَى وُجُودِي عَدَمْ

4 - ولاشكَّ في البعثِ من بَعْدِه[4] ... حِسَابٌ وَهَوْلٌ يُشِيبُ اللِّمَمْ

5 - وَنَارٌ تُسَعَّرُ للمُجْرِمِينَ ... وَمَأْوَى[5] العُصَاةِ وَمَنْ قَدْ ظَلَمْ

6 - فيَا نَفْسِ[6] ذُوبِي[7] لِذَا حَسْرَةً ... وَيَا عَيْنِ سُحِّي عَلَيهِ بِدَمْ

7 - وَتُوبِي لرَبِّكِ مِمَّا اجْتَرَمْتِ[8] ... وَقُومِي لَه في دَيَاجِي الظُّلَمْ

8 - بِسَدْبٍ[9] مَرُوعٍ وَدَمْعٍ هَتُونٍ[10] ... وقلبٍ بِنَارِ الأَسَى مُضْطَرِمْ

9 - قِيَامُ امرِئٍ وَالِهٍ قَلْبُه ... كَثِيرِ النَّحِيبِ حَلِيفِ السَّدَمْ[11]

10 - وَقَوْلِي إلاَهِي رَبَّ العِبَادِ ... وَمولَى الأَنَامِ وَبَارِي النَّسَمْ

---

(1) العلوم الفاخرة : "بشيبي".

(2) روضة الأنوار (أ) : "فذا ذابني" والعلوم الفاخرة : "ولقد آذَنِتِي".

(3) روضة الأنوار (أ) (ب)، والعلوم الفاخرة : "بوشيك".

(4) روضة الأنوار (أ) : بعدي".

(5) روضة الأنوار (أ) : "مأوى"، روضة الأنوار (ب) : "ذوي".

(6) روضة الأنوار (أ) : "نفسي"

(7) روضة الأنوار (أ) : "ذوي".

(8) العلوم الفاخرة : "اجتزأت".

(9) العلوم الفاخرة "بطرف"، وفي الحاشية : "بسدب"، قال الثعالبي : "السدب لفظ مشترك يطلق على القلب وعلى المال وعلى القوم".

(10) نفسه : "هتن".

(11) قال الثعالبي : "وقوله : حليف السدم، قال في مختصر العين : السدم هم في ندم، يقال رجل سادم نادم وسدمان ندمان، والسدم : الماء الذي كاد يندفع لوقوع الأقمشة فيه، ومياه أسدام، ومنها سدوم وقد سدم" : العلوم الفاخرة : 31 و.

11 - عُبَيدُكَ موسى كَثيرُ الذُّنوبِ يخافُ العِقَابَ وَيَرجُو الكَرَمْ
12 - فَأَمِّنْهُ يَومَ يَقومُ العِبادُ عُراةً حُفاةً لِهَوْلٍ عَظُمْ
13 - وَمُنَّ بِعَفْوِكَ عَمَّا أَتَى وعَمَّا جَنَاهُ وعَمَّا اجْتَرَمْ
14 - فَلَيْسَ لَهُ أَمَلٌ في سِوَاكَ فأنتَ الشهيدُ وأنتَ الحَكَمْ
15 - يقولُ إذَا اشتدَّ كَرْبٌ بِهِ وكادتْ عُرَى الصَّبرِ أن تَنْفَصِمْ
16 - إلاَهِي كَريمٌ إذا ما دُعِي أَجَابَ وإن سِيلَ وَالِي النِّعَمْ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار(أ) ص 131-132 ، (ب) ورقة 6 أ – ب ، والعلوم الفاخرة ورقة 30 ظ – 31 و.

[82]

وله : [من الطويل]

1 - قَنَعْتُ مِنَ الدُّنْيا بِأدنَى مَعِيشَةٍ لِيَسلَمَ لِي دِينِي[1] وَيالَيْتَهُ سَلِمْ
2 - ومَا يَنفعُ المَرءَ الوَجاهةُ والغِنَى وبَهجةُ دُنياهُ إذا دِينُهُ ثُلِمْ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 132 ،(ب) ورقة 6 ب.

[83]

وله أيضا : [من السريع]

1 - هَدِيَّةٌ جَاءَتْ وَلَمْ أَحْتَشِمْ في رَدِّهَا مِنْ ذِي إخَاءٍ كَرِيمْ
2 - لأَنَّه قد جَاءَ فِيمَا رَوَوْا بِأَنَّهَا تَفْقَأُ عينَ الحَلِيمْ
3 - وَتنقُلُ الحُرَّ عَنَ ٱخْلاَقِهِ لِطَمْعِ مُزْرٍ وَخُلْقٍ ذَمِيمْ

التخريج : ألف باء (ط) 155/1 ،(خ) ورقة 51 و.

(1) سقطت كلمة "ديني" من روضة الأنوار (أ).

[84]

وله : [من المتقارب]

1 - إِذَا مَـا عَـمِلْـتَ ففي سَنَـةٍ وَبالقَصْدِ في ذَاكَ وَالإِسْتِدَامَـهْ[1]
2 - وَلا بـدَّ للمَـرْءِ مـنْ فَـتْـرَةٍ يَجِمُّ بِهَا النَّفْسَ خَـوْفَ السَّآمَـهْ
3 - وَلكـنْ تَـكـونُ إلى سَـنَــةٍ لِيُحْـرِزَ في الحَالَتَينِ السَّلاَمَـهْ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 132 ، (ب) ورقة 6 ب.

[85]

قال الشيخ الفقيه الحاج أبو الحجاج ابن الشيخ : وأنشدني بعض أصحابي ولم يسم قائله : [من المتقارب].

1 - أُحِبُّ البَنـاتِ فَحُبُّ البَنَـا تِ فَـرْضٌ على كُلِّ نَفْسٍ كَرِيمَـهْ
2 - فَإِنَّ شُعَيْباً منَ أَجْلِ البَنَـا تِ أَخْدَمَهُ اللهُ مـوسَى كَلِيـمَـهْ

صلى الله عليهما وعلى نبينا محمد وسلم.

وزاد فيهما أبو عمران الميرتلي رحمه الله : [من المتقارب]

1 - وَدَفْـنُ البناتِ مِنَ المَكْرُمـاتِ وَأَجْرٌ وذُخْرٌ ونُعْمَى جَسِيمَـهْ

التخريج : ألف باء (ط) 410/1-411، (خ) ورقة 131 و ، البيتان [1-2] في مجموع شعري ص 74.

---

(1) روضة الأنوار (ب) : "والاستقامه".

[86]

قال ابن الأبار: وأنشدني له غيره يخاطب نفسه: [من المتقارب]

1 - تَحَفَّظْ بِدِينِكَ لاَ تَبْتَذِلْهُ[1] ... ولاَ يُلْفَ عِرْضُكَ[2] عِرْضاً كَلِيماً

2 - وَعَدِّ عَنِ الذَّنْبِ لاَ تَأْتِهِ ... وَبَادِرْ لإِصْلاحِ[3] مَا مِنْكَ لِيمَا

3 - فَأَنْتَ ابنُ عمرانَ مُوسَى المُسِيءُ[4] ... ولستَ ابنَ عِمرانَ مُوسَى الكَلِيمَا

التخريج: الأبيات [1-2-3] في التكملة (ط) 180/2، (خ) ورقة 111 و، وشرح مقامات الحريري 19/3-20، والبيتان [1-3] في الذخيرة السنية ص 41، والإفادات والإنشادات ص 4، 29، والبيت [3] في شرح رسالة روح القدس[5] ص 87.

[87]

ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران: [من البسيط]

1 - السَّائِلُونَ عيالَ اللهِ وَالمالَ لِلَّـ ... ـهِ فَابذُلْهُ فيهمْ خَابَ مَنْ لَؤُمَا

2 - فَجُدْ على ثِقَةٍ بِاللهِ مِنْ خُلْفٍ ... يَاويحَ مَنْ كَانَ للرَّحْمَانِ مُتَّهِمَا

3 - وَاحْذَرْ مِنَ الرَّدِّ إنَّ اللهَ يَمْقُتُهُ ... من غيرِ عُذْرٍ وَشُؤْمَ الشُّحِّ قد عَلِمَا

التخريج: شرح مقامات الحريري 431/3.

---

(1) الإفادات: "لاتبدلنه".

(2) شرح مقامات الحريري والذخيرة: "ولا تلف عرضك".

(3) شرح مقامات الحريري: "بإصلاح".

(4) الذخيرة والإفادات: "المسمى".

(5) في شرح رسالة روح القدس: "قال ابن عربي" أنشدني لنفسه في شعر مجنس يخاطب نفسه".

[88]

وله : [من الطويل]

1 - مِنَ الحَزْمِ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفسِ فَلْتُسِي بِهَا الظَّنَّ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ أَحْزَمُ

2 - وَعَدِّ بِسُوءِ الظَّنِّ عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَكُنْ حَذِراً مِنْهُمْ لَعلَّكَ تَسْلَمُ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 132، (ب) ورقة 6 ب.

[89]

كما قال الزهد أبو عمران المرتلي رحمه الله : [من مخلع البسيط]

1 - شَكَوْتُ دَائِي إلى طَبِيبِي فقَالَ إنِّي بِهِ عَلِيمُ

2 - أَدْواءُ أَدَوَائِكَ المَعَاصِي فَأَنْتَ مِنْ أَجْلِهَا سَقِيمُ

3 - وَبِالمَتَابِ الشِّفَاءُ مِنهَا إنِّي بِمَنْ تَابَ لِي رَحِيمُ

التخريج : جنة الرضا 1/125.

[90]

وقد نظمها الزاهد ابن عمران في قوله : [من الكامل]

1 - إنَّ المَؤُونَةَ[1] وَالحساب كِلاَهُمَا قُرِنَا بِهذا الدِّرْهم المَذْمُوم

2 - كَلِفَ الأَنَامُ بِذَمِّهِ وَبِضَمِّهِ فَتَعَجَّبُوا لِمُذَمَّمٍ مَضْمُوم

التخريج : شرح مقامات الحريري 1/148.

(1) في شرح مقامات الحريري : "المؤنة".

[91]

وله أيضا في الخُرْشُف : [من الكامل]

1 - أَتْحَفْتَنِي نَفْسِي فِـدَاكَ بِخُرْشُفٍ غَضٍّ الجَنَى عَذْبٍ شَهِيِّ المَطْعَمِ
2 - أَهْدَيْتَنِي مِنهَا نُهُـودَ كَـواعبٍ أَعْـزِزْ بِمُهْدِيهَا عَلَيَّ وَأَكْـرِمِ
3 - ضَنَّ الزَّمـانُ بِلَمْسِهَا مِنْ غَيْـرَةٍ فَأَتَى بها في مثـلِ جِلْدِ الشَّيْهَمِ

التخريج : أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 364، أو أدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص 392.

[92]

وله [رحمه الله] : [من الوافر]

1 - إِذَا دَامَـتْ مَجَالِسُنَا وَطَالَتْ تَخَلَّلَهَا الفُضُـولُ مِنَ الكَـلاَمِ
2 - لاَ نُطِـلِ[1] المُقَـامَ بها وَلَكِنْ نُخَفِّفُـهُ[2] وَنَـرْحـلُ[3] عَنْ سَـلاَمِ
3 - فَـإِنَّ كَـلاَمَنَـا مُحْصًى عَلينَـا وَحَسْبُـكَ بالمـلائكَـةِ الكِـرَامِ

التخريج : روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 132، (ب) ورقة 6 ب.

[93]

ثم قال : [من الطويل]

1 - أَرَى نِعْمَةَ المولَى عَلَيْكَ وفَضْلَهُ فَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً فَلَسْتَ بِظَالِمِ
2 - وَإِنَّـكَ مَأْجُـورٌ وغَيـرُكَ آثِـمُ فَكُنْ بين مَأجُورٍ وَمَا بَيْنَ آثِـمِ

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 73.

---

(1) روضة الأنوار (ب) : "تطل".
(2) روضة الأنوار : "تخففه".
(3) روضة : "وترحل".

[94]

ثم قال : [من الطويل]

1 - فَلاَ تُظْهِرِ الشَّكْوَى بِحَالِكَ وَاحْتَسِبْ ... أَتَشكُو بِذِي الرُّحْمَى إِلَى غَيرِرَاحِمِ

التخريج: مجموع شعري ص 73.

قافية النون

[95]

قال أبو الحسن الرعيني : وأنشدني [أبو بكر ابن قسوم] وقرأته عليه، : أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه: [من المتقارب]

1 - مُعَارَضَةُ الشَّرْعِ بالعَقْلِ زَيْغٌ ... عَليهِ يَقِيسُ بِهِ مَنْ فُتِنْ

2 - تَعَبَّدْتَ بِالشَّرْعِ فَاحْكُمْ بِهِ ... عَلَى العَقْلِ إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَتِنْ

3 - وَبالشَّرْعِ يَفْرُقُ بَينَ الهَوَى ... وَبَينَ الحِجَا كُلُّ عَبْدٍ فَطِنْ

التخريج : برنامج شيوخ الرعيني ص 95.

[96]

ووجد مكتوبا هذا البيت : [من المتقارب]

1 - فَلاَ تَعْتَبَنَّ عَلَينَا الصِّبَا ... فَنَحنُ إذَا ما خَلَوْنَا صَبَوْنَا

فنظم قوله عفا الله عنه : [من المتقارب]

1 - فَقَدْ نَسْتَجِمُّ بِلَغْوِ الكَلاَمِ ... لِكَيْمَا يَكُونَ على الحَقِّ عَوْناً

2 - وَنَحنُ أولُو الجِدِّ فِي المُبْتَدَا ... وَأهلُ الفُكاهةِ مَهْمَا خَلَوْنَا

3 - وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ في إثْرِذَا ... وَنسْألُهُ العَفْوَ عَمَّا لَغَوْنَا

التخريج: تحفة القادم ص 133.

[97]

وقال ورأى رجلا يبني ويُشيّد، فذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "من بنى فوق سبعة أذرع أو تسعة نودي إلى أين يا أفسق الفاسقين"، فقال: [من المتقارب]

1 - أَطَلْتَ البناءَ وشَيَّدتَهُ وأنفقتَ وَيْحَكَ فيه المِئِينَا
2 - وَأَنْتَ تُنَادِي ولاَ تَرْعَوِي إلَى أَيْنَ يَا أفسقَ الفَاسِقِينَا
3 - فَهَلاَّ اقْتَصَرْتَ على قَدْرِمَا يُوَارِي وَيَمْنَعُ عَنْكَ العُيُونَا
4 - فَكُنتَ على هَدْيِ مَنْ قَدْ مَضَى وَوَفَّرْتَ وَفراً وَعِرْضاً وَدِينَا
5 - وَلَم تَكُ تَحْمِلُهُ في غَدٍ على الظَّهرِ شَيْداً وصَخْراً وَطِينَا

التخريج: ألف باء (ط) 452/1، (خ) ورقة 143 ظ.

[98]

وقوله: [من مجزوء الكامل]

1 - أُوصِيكَ لاَ تَرِدِ الشَّهَا دَةَ وَالإِمامَةَ والأَمَانَهْ
2 - تَسْلَمْ مِنَ التَّجْرِيحِ وَالـ حَسَدِ المُبَرَّحِ وَالخِيَانَهْ

التخريج: الروض المعطار ص 521.

[99]

ولابن عمران أيضا: [من الطويل]

1 - تَحَرَّ سَبِيلَ القَصْدِ في النَّاسِ وَلتكُنْ عَلَى حَذَرٍ منهُمْ ولاَ تُسِئِ الظَّنَّا
2 - وَلاَ تَمْدَحَنَّ مَن لم تُجَرِّبْ ولاَ تَقُلْ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ ذَاكَ مِنْ ذَاكُمُ أَسْنَى
3 - فَمَا كُلُّ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرٌ حَالُهُ لَدَى الخُبْرِ مَحْموداً وقَدْ يُحْمَدُ الأَدْنَى

التخريج: شرح مقامات الحريري 72/3.

[100]

قال المقري: ثم قال صاحب "الملتمس": وتذاكرنا يوما معهُ (أي ابن جبير) حالة الزاهد أبي عمران المارتلي، فقال: صحبته مدَّة فما رأيت مثله، وأنشدني (شعرا) ما (نسيته) ولا (أنساه) ما استطعت، [وهو] قوله [في النصيحة][1]: [مجزوء الكامل]

1 - اِسْمَعْ أُخَيَّ نَصيحَتِي ... وَالنُّصْحُ[2] مِنْ أَصْلِ[3] الدِّيَانَهْ
2 - لاَ تَعْرِضَنَّ[4] إِلَى[5] الشَّهَا ... دَةِ وَالوَسَاطَةِ وَالأَمَانَهْ
3 - تَسْلَمْ مِنَ أَنْ تُعْزَى لِزُو ... رٍ أو فُضُولٍ أَوْ خِيَانَهْ

قال: فقلت له: أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة، فقال: ما ساعدتني رقة وجهي على ذلك.

التخريج: شرح مقامات الحريري 71/3 والمغرب في حلى المغرب 407/1، ونفح الطيب 99/3، 296-297، والغضون اليانعة ص 136.

[101]

ثم قال: [من البسيط]

1 - أَمَتُّ نَفسِي كَيْ أَحْيَا فَبَيْتِي لِي ... قَبْرٌ وَثَوْبِي على جُثْمَانِي الكَفَنُ
2 - إِلاَّ حَيَاتِي إِلاَّ فِعَلٌ صَالِحَهْ ... أَمُوتُ عَنْهَا وَيَبْقَى ذِكْرُهَا الحَسَنُ
3 - فقُلتُ مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... وَمَعْشَرٌ بِهدَايَا وَيْحَهُمْ فِتَنُ
4 - كِتابُ مَولاَيَ أُنْسِي حِينَ أَقرأُهُ ... وَذِكْرُهُ جُنَّتِي إِنْ خَانَتِ الجُنَنُ

---

(1) في شرح مقامات الحريري: "وللزاهد ابن عمران في النصيحة"، وفي الغصون اليانعة "وعنوان ما ذكر قوله، وكان ملتزما لما نصح به"، وفي المغرب: "وكان ملتزما لما ينطق به من قوله". وفي النفح: و"من الشيوخ الذين لقيهم الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي بالمغرب الفقيه ابن أبي تميم، قال: وأنشدني: الأبيات..."
(2) الغصون: "فالنصح".
(3) في المغرب والغصون والنفح: "محض".
(4) في المغرب والغصون والتفح "لا تقربن".
(5) الغصون: "من".

5 - وَأُسْوَتِي بالأُلَى مِن خِيرَةٍ سَلَفُوا وَمَا تَضَمَّنَتِ الآثَارُ وَالسُّنَنُ
6 - هَذِي السَّبِيلُ الَّتِي تُرْجَى النَّجَاةُ بِهَا وَمَا سِوَاهَا فَسُبْلٌ كُلُّهَا فِتَنُ
7 - لاَ يَهْتَدِي لِسَبِيلِ الرُّسْلِ سَالِكُهَا حَتَّى يُرَى عَائِداً في ضَرْعِهِ اللَّبَنُ

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 73.

[102]

وله أيضا : [من الكامل]

1 - إنَّ السَّلِيخَةَ وَالحَصيرَ كِفَايَةٌ وَلَوِ اقْتَصَرْتُ عَلَى الحَصِيرِ كَفَانِي
2 - إنَّ القَلِيلَ لِمَنْ يَموتُ مُبَلِّغٌ فَانٍ يُبَلِّغُهُ قَلِيلٌ فَانِي
3 - حَسْبِي القَلِيلُ ولَيتَنِي أَنْجُو غداً عِنْدَ الحِسَابِ عليه مَنْ دَيَّانِي(1)

التخريج : ألف باء (ط) 452/1، (خ) ورقة 143 ظ.

[103]

وله (رحمه الله تعالى) : [من الوافر]

1 - قَنَعْتُ بما تَيَسَّرَ مِنْ زَمَانِي وَأَكْذَبْتُ المَطامِعَ وَالأَمَانِي
2 - وَلَمْ أَغْتَرَّ مِنْ زَمَنٍ خَؤُونٍ يُخَادِعُ بِالمُحَالِ وَبالأَمَانِي(2)
3 - فَغَشَّتْنِي القَنَاعَةُ ثَوبَ عِزٍّ وَصِرْتُ مِنَ المَذَلَّةِ فِي أَمَانِ

التخريج: روضة الأنوار ونزهة الأخيار (أ) ص 133، (ب) ورقة 6 ب.

---

(1) سقط البيت الثالث من ألف باء (خ).
(2) سقط البيت الثاني من روضة الأنوار (ب).

[104]

وقال : [من البسيط]

1 - لاَ تَبْكِ ثَوْبَكَ إِنْ أَبْلَيْتَ جِدَّتَهُ وَابْكِ الَّذِي أَبْلَتِ الأَيَّامُ مِنْ بَدَنِكْ
2 - وَلاَ تَكُونَنَّ مُخْتَالاً بِجِدَّتِهِ فرُبَّمَا كَانَ هذا[1] الثَّوبُ مِنْ كَفَنِكْ
3 - وَلاَ تَعَفْهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ دَنِساً فَإِنَّمَا اكْتَسَبَ الأَوْساخَ مِنْ دَرَنِكْ

التخريج : الأبيات [1-2-3] في نفح الطيب 225/3، والبيتان [1-2] في المحاضرات والمحاورات ورقة 149 و.

قافية الهاء

[105]

وله أيضا : [من المنسرح]

1 - لَوْ كَانَ فَوْقَ الْخُمَولِ مَنْزِلَةٌ لاَخْتَرْتُهَا لِي وَمَا اقْتَصَرْتُ عَلَيْهْ
2 - مَا أسْلَمَ المَرْءَ بِالْخُمُولِ وَحَسْـ ـبُ المَرْءِ شَرّاً بِأَنْ يُشَارَ إِلَيْهْ

التخريج : شعر أبي عمران الميرتلي ص 74.

[106]

وقوله : [من البسيط]

1 - وَلِلنُّفُوسِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ مِنَ المَنِيَّةِ آمَالٌ تُقَوِّيهَا
2 - فَالمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالدَّهْرُ يَقْبِضُهَا وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالمَوتُ يَطْوِيهَا

التخريج تحفة القادم ص 133، والوافي بالوفيات 134/26 ب.

---

(1) المحاضرات : "ذاك".

[107]

ولابن عمران في ذلك : [من البسيط]

1 - يَا مَرْحَباً بِصَدِيقٍ لَسْتُ أُبْصِرُهُ   إلاَّ تَجَـدَّدَ لِي أُنْسٌ بِمَـرْآهُ
2 - وَإِنْ تَغَيَّبَ عَـنْ عَينِي فَلـمْ أَرَهُ   فَلِي فُـؤادٌ بِظَهْرِ الغَيبِ يَرْعَـاهُ

التخريج : شرح مقامات الحريري 84/1.

قافية الواو

[108]

من شعره رحمه الله [ما][1] قاله عند تمام كتاب : [من الكامل]

1 - كَمُلَتْ مُقابلةُ الكِتَابِ ونَسْخُهُ   فَارْحَـمْ بِهِ يَارَبَّنَـا وَبِمَا حَـوَى
2 - وَارْحَـمْ مُؤلِّفَـهُ وكَاتِبَـهُ وَمَـنْ   قَـرَأَ الكِتَـابَ وَسَامِعِيهِ وَمَنْ رَوَى

التخريج : أدباء مالقة (تحقيق د. صلاح جرار) ص 392 أو أعلام مالقة (تحقيق د. عبد الله المرابط الترغي) ص 363.

[109]

ومن شعره رحمه الله ورضي عنه : [من الوافر]

1 - تَسَاوَى الكُلُّ مِنَّا في المَسَاوِي   فَـمَـا فضلنا فَتِيلاً مَـا يُسَـاوِي
2 - وَقَـدْ عَمَّ السَّقَـامُ فَـلاَ طَبِيبٌ   وقَـدْ عَـدِمَ الطَّبِيبُ فَلاَ مُـدَاوِي
3 - فَخَفْ عُقْبَى التَّسَاوِي وَاتَّقِيـهِ   وَقَـانَـا اللهُ مِنْ شَـرِّ التَّسَـاوِي

التخريج : صلة الصلة ق 3 ص 53.

---

(1) سقطت من تحقيق د. صلاح جرار.

[110]

وله رضي الله عنه، وبلغه أن بشر بن الحارث رضي الله عنه، كان يقول: "من أحب أن يكون عزيزا في الدنيا فليجتنب أربعا: لا يشهد، ولايؤم، ولا يحدث، ولا يقبل هدية، فنظمها في شعر، وزاد فيها خمسا، فبلغها تسعة، وقال: [من مجروء الكامل].

1 - تِسْعٌ أَبَى مِنْهَا أُلُـو الـ   أحْـلاَمِ وَالهِمَمِ السَّنِيَّهْ
2 - إلاَّ بِحَـالِ ضَـرُورَةٍ   تَدْعُو لَهَا مَعَ حُسْنِ نِيَّهْ
3 - وَهِي الشَّهَادَةُ وَالوَسَا   طَةُ وَالحُكومَةُ في القَضِيَّهْ
4 - وكَـذَا الإمَامَـةُ والوَديـ   ـعَةُ وَالتَّعَرُّضُ لِلوَصِيَّهْ
5 - ثُمَّ الإجَـابَـةُ لِلمَـطَا   عِـمِ في الوَلاَئِمِ وَالهَدِيَّـهْ
6 - فَسَدَ الزَّمَـانُ وَأَهْلُـهُ   لَمْ تَبقَ في حُرٍّ بَقِيَّـهْ
7 - زَمنٌ يَكونُ بِهِ البَـرِ   يءُ مِنَ المُرِيبِ عَلَى تَقِيَّـهْ

التخريج: ألف باء (ط) 1/153-154، (خ) ورقة 50 و، وترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من أخبار الأندلس ص 8.

[111]

وله عفا الله عنه: [من الطويل]

1 - لَعَمرُكَ مَالِي في حَيَاتِي رَغْبَةٌ   وَلَلْمَوتُ خَيْرٌ لِي مِنَ المُكْثِ في الدُّنْيَا
2 - إذَا لَمْ أكُنْ بِهَا بِحَالٍ هَنِيئَةٍ   تُعِينُ على الأُخْرَى فَمَالِي وَلِلْمَحْيَا

التخريج: مجموع شعري ص 74.

[112]

وله في مثله : [من السريع]

1 - ارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا وَأَوْصَافِهَا مَشُوبَةً جَاءَتْكَ أَوْ صَافِيَهْ
2 - قَتْلُ أُلِي الأَلْبَابِ مِنْ فِعْلِهَا فَاصْغَ إِلَى نُصْحِي وَأَوْصَافِيَهْ
3 - مَا بِالغِنَى يَغْتَرُّ ذُو فِطْنَةٍ كَلاَّ ولاَ يَغْتَرُّ بِالعَافِيَهْ
4 - كَمْ مِنْ غِنًى قَدْ عَادَ فَقْراً وَكَمْ عَافِيَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ عَافِيَهْ

التخريج : شرح مقامات الحريري 19/3.

شعر متنازع النسبة

أنشد المرتلي في عبد الله بن طاهر[1]: [من الكامل]

1 - يَا مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ[2] كَصِفَاتِ[3] عَبْدِ اللهِ أَنْصِتْ وَاسْمَعِ
2 - فَلأَصْدُقَنَّكَ بِالنَّصِيحَةِ وَالَّذِي حَجَّ الحَجِيجُ إِلَيهِ فَاقْبَلْ اَوْدَعِ
3 - إِنْ كُنْتَ تَطْمعُ أَنْ تَحُلَّ مَحَلَّهُ فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الأَصِيلِ[4] الأَرْفَعِ
4 - فَاصْدُقْ وَبِرَّ وَعِفَّ وَاصْبِرْ[5] وَاحْتَمِلْ وَاحْلُمْ وَكَافِ وَدَارِ وَاخْضَعْ[6] وَاخْشَعِ
5 - وَالْطُفْ وَلِنْ وَتَأَنَّ وَارْفُقْ وَاتَّئِدْ وَاعزِمْ[7] وجِدَّ وَحَامِ وَاحْمِلُ وَادْفَعِ
6 - وَاغْضُضْ وَكُفَّ وَرُعْ وَآثِرْ وَاحْتَسِبْ وَازْهَدْ وَوَالِ وَأَوْلِ وَارْحَمْ وَانْفَعِ
7 - وَافْطِنْ وَكِسْ وَاحْذَرْ وَشَمِّرْ وَاحْتَرِمْ وَتَوَقَّ وَانْظُرْ وَاحْمِ وَافْصِلْ وَدَعِ
8 - وَاكْظِمْ وَصِلْ وَأَقِلْ وَأَنْجِزْ وَانْتَصِرْ وَاعْطِفْ وَوَاسِ وَأَغْنِ وَافْضُلْ وَارْفَعِ
9 - أَوْرَدْتُ بَعْضَ خِلالِهِ فَاعمَلْ بِهَا وَأَصِخْ لِمَا أَوْرَدْتُهُ مِنْهَا وَعِ
10 - تَحُزِ الْمَكَارِمَ مِثْلَ مَا قَدْ حَازَهَا وَتَحُلَّ مِنْهَا بِالْمَحَلِّ الأَرْفَعِ

التخريج : الأبيات [1-10] في مجموع شعري ص 30 : الأبيات [1-2-3-4-5] وفي اقتراح سميري 100/1.

---

(1) الأبيات لأبي العميثل الأعرابي الشاعر في اقتراح سميري: 100/1. وقال ابن حمامة السجلماسي في تصديرها: "وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدا ذكرا، ولما توفي صلى عليه ابن طاهر بن عبد الله بن طاهر ودفنه، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبة غلمانه، وفعل ذلك إخوته، ودفع عند كل رجل منهم إلى كل غلام خمس مائة درهم، فقال أبو العميثل الأعرابي الشاعر عند ذلك لمصعب بن عبد الله، وكان يختص بطاهر وينادمه: ألا أدلك على شيء تفعله فتقدم به سائر إخوتك عند الأمير، قال: بلى، فأنشده هذه الأبيات، فقال: أكتب بها إلى الأمير، وهي: (الأبيات) فاستحسن الأمير الأبيات، وقال: والله لقد أفدتني ما أوجب به شكرك عليه، فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين، فأكسبه ألف أله درهم".
(2) في اقتراح سميري: خلاله.
(3) نفسه: كخلال.
(4) نفسه: الأشم.
(5) نفسه: وانصر.
(6) نفسه: واصبر.
(7) نفسه: واحزم.

ضميمة 1

ما تبقّى من نثره

- قال أبو عمران الميرتلي:

والمَعزومُ عليه، واللهُ المستعانُ، أن لا أَشهدُ مشهداً ولا أبرحُ عن منزِلِي إلا للفرضِ[1] إن استطعتُ، وأعجلُ الانصراف بمشيئة الله، ولا أُبايتُ ولا أخاطب مبتدئاً ولا مجاوباً ولا أَقبلُ هديةً ولا ديناراً ولا درهماً لِنَفْسِي، وَلاَ لِغَيْري، ولا تلجُ يدي في طعامِ أحدٍ ولا أدخل في وَسَاطة، ولا في حُكُومة، ولا أقبل وديعةً ولا أجيبُ لِوليمةٍ، ولا أتعرفُ لمن لا يعرفني، وأقلّلُ، ما أمكنني، من معرفة كثيرٍ ممن يعرفني، بالانقباض وحسن التلطف طلباً للسلامة لي وله، ولا أُجيبُ في مَشُورَةٍ إلا بالدُّعاء ولا آملُ غيرَ مولاَي لي أو لسوايَ، ولا أتولّى خطةً ما كانت، ولا أكون إماماً ولا خطيباً، ولا أفعل شيئا من كلِّ ما رسمته إلا لحالِ ضرورة، واللهُ تعالى يُغني من سَعةِ فضله، ويُعين على هذا كله: [من السريع]

1 - فَحَسْبِي نَفْسِي وَمَا كَلِفْتُ وَفِي ذَاكَ لِي شُغْلٌ شَاغِلُ

2 - وَحَسْبِيَ مَوْلاَيَ مِنْ خَلْقِهِ لَقَدْ خَابَ مَنْ غَيْرُهُ يَامُلُ

قال أبو الحجاج ابن الشيخ المالقي: عَمَّر الله قلوبَنَا بِذِكره، ولا شُغِلنا عنه بِغَيرِه، إنه مُنعمٌ كريم.

التخريج: ألف باء (ط) 1/453- 454، (خ) 144 و، وترجمة أبي عمران الميرتلي وسواه من الأندلسيين ص 7.

---

(1) في ترجمة أبي عمران الميرتلي: "لغرض".

2 - قال أبو الحجاج ابن الشيخ المالقي: ومن أملح ما رأيت له، وهو من الذي كَلِفْتُ به من المعكوس: رأى رجلا يكتب بطاقة، فأشار إلى القلم، وقال احذر أن تُلقِي في مكتوبك من مقلوبه؛ وذلك أن مقلوب "قلم"، "مَلَق".

قال ابن الشيخ: أعاننا الله على طاعته، ووفقنا لاتِّبَاع طريقة الصالحين آمين بكرمه وفضله.

التخريج: ألف باء 454/1، (خ) 144 و (ط) ص 8.

3 - وله فصول من كلام الحكماء:

- مثل كل ما يفنى مَالَهُ معنى.
- القناعةُ بالقوت، واللباسُ خيرٌ من سؤال الناس.
- من تَقَحَّم فيما لا يعنيه وقع فيما يُتْعِبُهُ ويُعَيِّبُهُ.
- من خَفَّ قدمه كثر ندمه، ومن تثبط اغتبط.
- ما لا يُنفع لا يُصْنَعُ.

قال أبو الحجاج ابن الشيخ المالقي: ومن هذا النوع كثير.

التخريج: ألف باء 454/1، (خ) 144 و(ط) ص 8.

4 - ومن نثره:

- كُلُّ مَا يَفْنَى مَالَهُ مَعْنَى.
- مَنْ خَفَّ لِسَانُهُ وَقَدَمُهُ كَثُرَ نَدَمُه.
- التَّغَافُلُ عَنِ الجَوَابِ مِنْ ِفعْلِ ذَوِي الأَلْبَابِ.
- مَنْ أَعْطَاكَ رِفْدَهُ فَقَدْ مَنَحَكَ وُدَّهُ.
- مَلِّكْ فُؤَادَكَ مَنْ أَفَادَكَ.

التخريج: المغرب في حلى المغرب 406/1.

5 - ومن كلام الشيخ الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران القيسي الميرتلي رضي اله عنه في الهرّ:[1] "نِعْمَ الجليسُ الهرّ، لا يُخبِرُ ولاَ يَستخبِرُ، ولا يبوحُ بسرٍّ، يحفظُ سِرَّك عليكَ، ولا يَنقلُ عنكَ ولا إليكَ،[2] كريمُ المُؤَانسة، سليمُ المُجَالسة، لا يَهمِزُ ولا يَلْمِزُ ولا يَغْتابُ، ولا صَاحِبُه منهُ بِمُرْتَاب. يَحْفَظُهُ إذا نَام،[3] وَيطرُدُ عنه الهَوَام، مَنَافِعهُ كثيرة، وَمَؤُونتُه يَسِيرة.

فَاقْتصِرْ عليهِ أنيساً، واتَّخِذْه جليساً، يَسْلَمُ لكَ معهُ دِينُكَ ودُنْياكَ، وإِيَّاكَ[4] أن تُفَارقَ[5] مَوضِعَكَ إِيَّاكَ، فهُو[6] أَنْفَعُ لكَ من كثيرٍ من إِخْوَانِك،[7] وأحرسُ منْ خَدَمِك وَأَعْوَانِكَ".

التخريج: ألف باء (ط) 389/1، (خ) ورقة 124 و، وأدباء مالقة (تحقيق د.صلاح جرَّار) ص 393، أو أعلام مالقة (تحقيق د.عبد الله المرابط الترغي) ص 364.

---

(1) أدباء مالقة، أو أعلام مالقة: "وله في مَدْح الهرّ".
(2) " " ": "لك".
(3) " " ": "إذا ما نام".
(4) " " ": "إياك".
(5) " " ": "يفارق".
(6) " " ": "هوِ".
(7) " " ": "لك من كريم إخوانك".

ضميمة 2

رسالة أبي زيد الفازازي لأبي عمران الميرتلي

وكتب أبو زيد الفازازي[1] للزاهد أبي عمران بن أبي عمران:[2]

السَّلاَمُ الكريم العميمُ، والرَّحمةُ التي لا تَبْرحُ ولا تريمُ، والبركاتُ المتصلةُ الإلمام، الدائمةُ التخيُّم على حضرةِ البنيةِ الصَّالحة، والحتم الموجود فيه مَعْنَى الفَاتِحة، قُطْبُ المُجَاهدين وعلمُ المُشَاهِدين، والخيرُ الجامعُ عِلْماً وَعَمَلاً بين الزُّهْدِ في الدنيا والرغبة في الدِّين، نَفَّسَ اللهُ للمسلمين عُمْرَه، ونفعهم به، إذ لَمْ يَبْقَ لَهمْ غَيرَه.

كتابٌ ملتزمٌ الفرضَ من تعظيمه، ومُغتنمٌ الحظَّ من وَصَاتِه وتعليمِه، المُعَدُّ فخراً للأُخرَى ببركَتَيْ دُعَائِه وتَسْلِيمه، محبه لله عز وجل: فلان.

وهو يحمدُ إليه الله سبحانه على نِعَمِه التي يُكَثُّ عَدَدُها، ولاَ يقطَعُ (بشير) الشُّكر أبداً أمدُها، وإنَّ من أَجَلِّها بعدَ الإسلام، ذكرًى بالجميلِ بذلِكُم المقام، على هَفَواتٍ عندي وَهَنوات، وتضييع شُهُور جَمَّة وسنوات، وقِلَّةِ اكتراثٍ لكل ماضٍ وعَدَمِ إعدادٍ لكل آت، فسبحان من أظهَر يَسِيرَ الجَمِيل، وسَتَر كثيرَ القَبِيح، وخَصَّني مِن اعتقاد ذلكُمُ الجَنَانِ الظاهر، وذكر ذلكُم اللسانِ الشَّاكر بالبحر الربيح.

---

(1) ترجمة في التكملة 3/47-48.

(2) آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي، نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته- تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ص 43-44.

وجَزاكُمُ اللهُ عَنِّي، أيها العَلَمُ الأَهْدَى، والقُدوةُ عِلْماً وَزُهْداً، والخَلَفُ المحمودُ صَدَراً وَوِرْداً جَزَاءَ مَنْ أحسن لنفسِه ولغيرِه، وناطَ بالخير الأُخروِيّ همَّةَ قَصدِه وسَيرِه، ونفَعَنِي بالباعِثِ على مَحَبَّتِكم والرغبةِ في المُثولِ بِحَضْرَتِكُم.

ويعلمُ اللهُ - سبحانه - وهو أعظَمُ الشَّاهدين، وأكرمُ المُشاهدين، أَنِّي أُوثرُ الأندلسَ كُلَّها وأُحبُّ من حَلَّها إجلالاً لكم ولأمثالكم، ورغبةً في الاقتداء بعلُومِكُمْ وأعمالكم، أَمَا وَاللقاءُ لم يُقْضَ، وإبرامُ العَزيمَةِ لا يَعدمُ النقضَ، فإني أتوسلُ إليكم باللهِ عزَّ وجل في أن تُفردوا لي منكُم سَحَراً تُجردون فيه النِّية وتُخلِصُون الطويَّة، وتُقصرُون الرغبة على تسيير أسباب المَتَابِ، فقد تعدَّدتْ عليَّ وعَدِمَت لَدَيَّ.

فَكُلَّمَا أبرمتُ أمراً انحلَّ، وكلما أَضمرتُ عَقداً اختلَّ، وهذه حالتي قد شرحتُها، وحاجتي على بِنَاء تلكمُ الحضرة قد أَرحتُها، وأرجو أن يرزقني اللهُ من سَيِّدي قَبولا فَيُسعف، ويُعين بِدُعائه الصَّالح هذا المُذنبَ المتخلف، إن شاء الله تعالى.

فقد نفذَ عُمرَه لَهواً ولَعباً، وقطعَ دَهْرَه دَعوى وكذبا، جلَّ وعلاَ، لا يقبلُ المتبهرج، ولا يستعمل إلا المتحرِّج وأنا منتظرٌ تَبدُّلَ هذا الاختلال على يديكم، وناظرٌ بعين الاضطرار فيه إليكم.

فاجعلوني، يا سيدي، مِنْ بعضِ حَسَنَاتكم، وأَعِدُّوا مَعُونَتي في جملة إعداداتكم، واللهُ تعالى يَنفعُكُم، وينفعُ بِكُم، ويَجزِيكُم أفضلَ الجَزَاءِ عن سَنَنِكُم القويم ومَذْهَبكُمْ، بِمَنِّه وعِزَّتِه.

الفهارس

فهرس القوافي

الهمزة

القافية	البحر	عدد الأبيات	الرقم
وابتلائها	الطويل	15	1
الباء			
الألبابُ	الكامل	2	2
الشَّبابُ	الوافر	6	3
المرغبُ	الطويل	4	4
العجبُ	البسيط	4	5
بذهابِ	الكامل	2	6
بالذَّهَابِ	الوافر	4	7
شبابي	الطويل	3	8
جانبِ	الطويل	21	9
التاء			
ممقوتًا	البسيط	1	10
الفراتِ	الوافر	2	37
الحاء			
صفحًا	الطويل	3	11
الدال			
تغريدا	البسيط	3	12
مدًى	البسيط	1	13
تريدُ	الكامل	1	14

ويبيدُ	الكامل	1	15
شهيدُ	الطويل	1	15
عسجَدُ	الكامل- الطويل	3	16
يزدادُ	البسيط	2	17
وحدي	الوافر	8	18
وحدي	الطويل	7	19
الذال			
الأذى	المتقارب	3	20
الراء			
فشمِّرْ	مجزوء الرمل	5	21
الكِبرْ	الرجز	10	22
خَيْرَهَا	المتقارب	5	23
الورى	الكامل	4	24
بفَاقِرَهْ	الطويل	3	25
نارَها	السريع	2	39
أَمَّارَها	السريع	1	39
تدبيرُها	الكامل	2	26
الضمائرُ	الطويل	3	27
القَطْرُ	الطويل	6	28
لَكَثيرُ	الطويل	5	29
الجارُ	البسيط	2	30
أذكرُهُ	البسيط	2	31
البصرُ	البسيط	4	32
يُنْتَظَرُ	البسيط	4	33
كثيرُ	المجتث	5	34

35	2	المتقارب	إبصارِها
36	9	الكامل	ووقارِهِ
37	4	مجزوء الوافر	نميرِ
38	7	البسيط	العبرِ
39	2	البسيط	كبرِه
40	2	السريع	بالذاكرِ
		الزاي	
41	3	الكامل	المستوفزْ
		السين	
42	3	الكامل	نعاسِ
		الشين	
43	5	السريع	يشي
		الصاد	
44	5	الوافر	انتقاصِ
		الضاد	
45	3	البسيط	مفترضِ
46	5	السريع	ماضي
		العين	
47	4	السريع	ننتفِعْ
48	3	السريع	متَّبعْ
49	3	الكامل	فأذاعَها
50	5	المنسرح	رفعاَ
51	3	الطويل	ونرتعُ
52	4	الطويل	يمنعُ
53	5	البسيط	يقطعُه

يزعُ	البسيط	4	54
تَدفعُه	مجزوء البسيط	2	55
الدموعِ	المتقارب	7	56
واسمع	الكامل	10	113
منزعِ	الطويل	2	57
الفاء			
الفلسفَهْ	مجزوء الكامل	3	58
جيفَهْ	الوافر	4	59
للمصيفِ	الوافر	2	60
خلفي	الطويل	2	61
القاف			
الرنقِ	البسيط	7	62
وأخلاقِ	السريع	2	63
	الكاف		
إليكَا	الكامل	2	64
اللام			
الخمولْ	المتقارب	3	65
اكتهلْ	المتقارب	1	66
أهلاَ	الطويل	3	67
استقلا	الخفيف	3	68
أنزلُ	المتقارب	15	69
وقيلُ	الطويل	4	70
يعادلُه	الطويل	2	71
الأملُ	البسيط	2	72
تبتهلُ	البسيط	2	73

والوَجَلُ	البسيط	3	74
قابلِ	المتقارب	3	75
الوصولْ	مجزوء الرمل	7	76
وقيلِ	الوافر	2	77
ولا بالِ	البسيط	2	78
والاعتزالِ	مخلع البسيط	3	79
مالي	السريع	6	80
الميم			
الندمْ	المتقارب	16	81
سلمْ	الطويل	2	82
كريمْ	السريع	3	83
الاستدامَهْ	المتقارب	3	84
كريمَهْ	المتقارب	2	85
جسيمَهْ	المتقارب	1	86
كليمَا	المتقارب	3	86
لؤمَا	البسيط	3	87
أحزمُ	الطويل	2	88
عليمُ	مخلع البسيط	3	89
المذمومِ	الكامل	2	90
المطعمِ	الكامل	3	91
الكلامِ	الوافر	3	92
بظالمِ	الطويل	2	93
راحمِ	الطويل	1	94
النون			
فتنْ	المتقارب	3	95

صبونا	المتقارب	1	96
عونا	المتقارب	3	96
المِئِينَا	المتقارب	5	97
الأمانَهْ	مجزوء الكامل	2	98
الظنَّا	الطويل	3	99
الديانَهْ	مجزوء الكامل	3	100
الكَفَنُ	البسيط	7	101
كَفَاني	الكامل	3	102
والأماني	الوافر	3	103
بَدَنِكْ	البسيط	3	104
	الهاء		
عليهْ	المنسرح	2	105
تُقَوِّيهَا	البسيط	2	106
بِمَرآهُ	البسيط	2	107
	الواو		
حَوَى	الكامل	2	108
يساوي	الوافر	3	109
	الياء		
السنيهْ	مجزوء الكامل	7	110
الدنيا	الطويل	2	111
صافيهْ	السريع	4	112

المصادر والمراجع

- آداب النفوس للحارث بن أسد المحاسبي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت، 1984.
- إحياء علوم الدين للإمام لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1996م.
- أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسطنطيني، تحقيق محمد الفاسي وأدولف وور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965.
- بُدُّ العارف، تأليف عبد الحق ابن سبعين، تحقيق وتقديم: د.جورج كتورة، دار الأندلس، دار الكندي، بيروت، لبنان، ط1، 1978.
- البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، (قسم الموحدين)، تحقيق الأساتذة: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406- 1985.
- تاريخ المغرب: محاولة في التركيب، د.عبد الله العروي، ترجمة: د.ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1977.
- تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد ابن عاشر، تأليف أحمد بن عاشر الحافي، تحقيق وتقديم: مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة الصبيحية بسلا، المغرب، 1988.
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات، تحقيق : د.أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، نصوص ووثائق (1)، ط1، 1404هـ- 1984م.

- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد محمد الكلاباذي، قوم له وحققه: محمد أمين النووي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة 1980.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله الحميدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1983.
- جذور وامتدادات: الهوية واللغة والإصلاح بالمغرب الوسيط، محمد القبلي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- جوامع آداب الصوفية وعيوب النفس ومداواتها لأبن عبد الرحمان السلمي، حققهما وقدم لهما: أيتان كولبرغ، معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية، الجامعة العبرية، القدس، 1976.
- الحلة السيراء لابن الأبار، حققه وعلق على حواشيه د.حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1963.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني الشافعي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- الحواضر الأندلسية، ليوبولدو طريس بالباس (ج1)، ترجمة د.محمد يعلى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2007.
- الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط: علائق وتفاعل، محمد القبلي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (س 5- ق1- 2)، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (س 1- ق1- 2)، تحقيق د.محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان (بلا تاريخ).

- رحلة ابن بطوطة، تحقيق: د.عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1997.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازان القشيري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
- الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق وتقديم د.عبد الحليم محمود، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1990.
- السُّنن للإمام الحافظ أبي عبد الله ابن ماجة، حققه علي بن حسن الحلبي الأثري، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ -1998م.
- شفاء السائل لتهذيب المسائل، تأليف عبد الرحمان بن خلدون، نشره: د.أبو يعرب المرزوقي، الدار العربية للكتاب، 1991 ليبيا - تونس.
- الصلة لابن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.
- عروض الورقة لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1404هـ-1984.
- العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك، د.محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1404هـ-1983.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، أسين بلاثيوس، ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين الدماميني، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مطبعة المدني، القاهرة، 1973.
- العقل وفهم القرآن للمحاسبي، قدم له وحقق نصوصه: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، ط3، 1982.
- العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، القاهرة بلا تاريخ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د.محمد قوقزان، ط2، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1404هـ-1994م.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، ط1، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1328هـ-1910م.
- الغُنية للقاضي عياض، تحقيق د.ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- الفتوحات المكية تأليف محيي الدين بن العربي، تحقيق وتقديم: د.عثمان يحيى، تصدير ومراجعة: د.إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
- فهرسة ابن خير، لابن خير الأموي الاشبيلي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد للشيخ أبي طالب مكي، دار صادر، لبنان، بلا تاريخ.
- كتاب العلم للحارث بن أسد المحاسبي، حققه وقدم له: محمد العابد مزالي، الدار التونسية للنشر، تونس 1975.
- كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: تأليف الإمام الشيخ إسماعيل ابن محمد العجلوني الشافعي، ضبطه وصححه ووضع حواشيه الشيخ محمذ عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م.
- كشف المحجوب للهجويري، دراسة وترجمة وتعليق د.إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة د.أمين عبد المجيد بدوي، دار النهضة العربية، بيروت 1980.
- الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري، لمحيي الدين ابن العربي، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2002.

- مثنوي، تأليف جلال الدين الرومي، ترجمه وشرحه وقدم له: د.إبراهيم الدسوقي شتا، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996.
- مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1955.
- المسائل في الزهد، تأليف الحارث ابن أسد المحاسبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ.
- المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، تحقيق ودراسة: د.محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، سلسلة الأطاريح الجامعية (4)، الرباط، المغرب، ط1، 2002.
- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر (الجزء الثامن)، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م.
- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب، تأليف عبد الرحمان بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ، تحقيق: هـ.ريتر، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1959.
- المقتضب من كتاب سمط الجمان وسقط الأذهان، تأليف أبي عمرو عثمان المعروف بابن الإمام، قرأته وعلقت عليه د.حياة قارة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- مكاشفة القلوب للإمام الغزالي، قدم له: د.الشيخ محمد رشيد القباني، مراجعة ذ.بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966.
- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ت 548هـ. جزءان تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ-1975م.
- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية للأستاذ الشيخ مصطفى العروسي، عنترة عبد الوكيل الدروبي وياسين عرفة، جامع الدرويشية، دمشق، بلا تاريخ.
- النجم الثاقب فيها لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني، مخطوط (نسخة خاصة).
- الوافي في نظم القوافي لأبي الطيب صالح بن شريف الرندي، حققه وقدم له لنيل دبلوم السلك الثالث، محمد الكنوني، تحت إشراف د.محمد بن شريفة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1973-1974.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بلا تاريخ.
- الوصايا للحارث المحاسبي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

- Chittick, William C, Sufism, A short introduction, one world publication, Oxford, England, 2000.

Imaginal worlds, Ibn al'Arabi and the problem of Religious Diversity, suhail Academy, chowk Urdu Bazar, Lahor, Pakistan, 2001.

Ibn al'Arabi's Metaphysics of Imagination : The Sufi path of Knowledge, state university of New York, 1989.

- Chodkiewiez, Michel, le sceau des saints : prophétie et sainteté dans la doctrine d'Ibn'Arabi, bibliothéque des sciences humaines, Editions Galimard, Paris 1986,

- Cornell, Vincent J, the Way of Abù Madyan, Cambridge, Islamic texts society, 1996.

Realm of the saint : Power and Authority in Moroccan sufism, University of Texas press, 1998.

- Lowney, Chris, Vanished world : Medieval spain's golden age of Enlightenment, Free Press, New York, 2005.

- Matt, Daniel C, the essential Kabbalah : the Heart of Jewish Mysticism, Harper san Francisco, 1996.

- Murata, Sachiko, the Tao of Islam, AlBany, state university of NewYork, 1992.

- Nasr, Seyyed Hossein, the Heart of Islam : Enduring values for Humanity, Harper san Francisco, 2004.

- Normand, Claudine, Métaphore et concept, (collection Dialectiques), Edition complexe, Bruxelles, 1976.

- Sells, Michael A, Early Islamic Mysticism, Paulist press, New York, MAHWAH, 1996.

- Shimmel, Annemarie, My soul is a Women : The Feminine in Islam, The continum Publishing company, 1997.

Mystical Dimensions of Islam, chapel Hill, North Carolina University of North Corolina press, 1975.

- Schuon, Frithjof, the Transfiguration of Man, worldwisdom Books, INC, 1995.

- URVOY, Dominique, le Monde des ULÉMAS Audalous du V/XI^{e} au VII/XIII^{e} siècle, Genève, Librairie Droz, 1978.

فهرس المحتوى